الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون - تيارت-
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في الفلسفة

تخصص فلسفة العلوم

بعنوان

ابستمولوجيا البيواتيقا عند للّه فرانسوا داغوني للّه

إعداد الطالبة:

- عيسى فاطمة الزهرة

إشراف الأستاذ :

- الشاذلي هواري

للجنة المناقشة :

- أ.بوعمود -رئيسا-.
- أ.الشاذلي الهواري –مشرفا-.
- أ.راتية –مناقشا-.

السنة الجامعية

1437هـ / 1438هـ

2016م / 2017 م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

أحمد الله الذي وفقني لإنجاز هذا العمل المتواضع . أن ربي كريم حكيم و بعد :

موفور الشكر و عظيم العرفان موصول إلى :

– الأستاذ الشاذلي هواري على مابذله من جهد و ما قدمه من نصح و تشجيع .

ـ إلى أساتذة الفلسفة الأجلاء.

ـ إلى كل من ساهم من بعيد أو قريب في سبيل إنجاح هذا العمل.

إهـــــــداء

إلى أبي قائدي الرائع في الحياة.

إلى أمي جوهري الخالدة في الحياة.

إلى كل العائلة الكريمة.

إلى كل أساتذتي الأفاضل.

عيسى فاطمة

الزهرة.

مـــقـــدمـــة

لم يتطور مجال فلسفي في الآونة الأخيرة بالسرعة التي تطورت بها فلسفة العلم . ثمة عدد يتعاظم من المختصين في هذا المجال , كما أن كثيرا من الجامعات قد قامت بإضافة مواد تعنى بتلك الفلسفة إلى مناهجها الدراسية الدنيا و العليا . و يعنى فلاسفة العلم أساسا بثلاثة أنواع من المسائل , يتناول أحدها ما تفضي إليه الإكتشافات العلمية الجديدة من مترتبات بخصوص بعض القضايا الفلسفية التقليدية (مبدأ الحتمية) , أما النوع الثاني من تلك المسائل فيتعلق بتحليل المفاهيم الأساسية الخاصة بمختلف فروع العلم , مفاهيم كالعدد و المكان و الغاية و الكائن الحي , و أخيرا النوع الثالث من المسائل يتعامل مع طبيعة النشاط العلمي و أهدافه و المناهج التي ينتهجها العلم بغية تحقيق هذه الأهداف .

و منذ النصف الثاني من القرن العشرين تصدرت علوم الكائن الحي و الأحياء – الطب و البيولوجيا– طليعة العلوم التجريبية , و لفتت إليها اهتماما واسعا و عريضا سواء من طرف مراكز البحث المتخصصة أو حتى الرأي العام , و يستمد ذلك الإهتمام مشروعيته من الأمال المعقودة و المنتظرة من الانعكاسات الايجابية المباشرة لنتائج تلك العلوم و أبحاثها على الصحة العمومية و صحة الأفراد على وجه الخصوص.

و الحقيقة أن شهرة و ذيوع صيت العلوم الطبية و البيولوجية راجع إلى صلتها المياشرة علاجيا , و أنطولوجيا و أخلاقيا بالفرد البشري . و رغم أن الطب العلميي حين تأسس مع "كلود برنار" في القرن 19 تجاهل هذه الأبعاد الإنسانية السابقة , فإن ذلك لم يمنع الجميع , أطباء و باحثين و عوام من عقد آمال عريضة تصل حد الطوباوية على المشروع المعرفي و العلاجي للطب العلمي الحداثي . و يعود ذلك إلى القفزة النوعية التي نفذها "برنار" بتشجيع و تمهيد من طرف أستاذه "ماجندي" و المتمثلة في الانتقال الجريئ من "طب انتظاري " او "ترقبي " يعود في أصله إلى التصور الأبقراطي للقدرة الشتفية للطبيعة , إلى "طب تدخلي" يبادر إلى التدخل المباشر في المسار التطوري للمرض على أمل إيقافه أو بتر العضو المريض أو العنصر الباطولوجي المسبب للمرض أو الناتج عنه.

و تعززت نتائج كلود برنار مع لويس باستور و هيأت لقيام " الميكروبيولوجيا " أو علم الأحياء الدقيقة ثم تعددت الاكتشافات ' حتى أن مؤرخ الطب " ش.ليشتتايلير" أحصى ما بين 1870و 1939 مئات الإنجازات و الابتكارات في مجال الطب و الفيزيولوجيا و حولي مائة وسيلة علاجية جديدة.

إن الديناميكية التي أحدثتها علوم الحياة و المباحث التي تدرس الحي في نهاية القرن 20 كانت كفيلة برسم ملامح جديدة في الافق لإرهاصات طب ما بعد حداثي , و كانت مظاهره الطلائعية : الابحاث المخبرية الجديدة و الناجحة على الحي , و الإحاطة الشاملة بالبنية الكيماوية للحمض الريبي A.D.N و الكشف عن تراتيبية الجينوم البشري و تعيين مختلف الجينات و الإنزيمات و البروتينات المسئولة مباشرة عن أخطر و أهم الوظائف الحيوية في الجسد . و التحكم في خلايا المنشأ او الخلايا الجذعية و قدراتها في إعادة تكوين و زرع الأعضاء المريضة والمتلفة و كذلك التمهيد للإستغناء عن العلاج الكيماوي المدمر , و تعويضه بالعلاج الجيني ....الخ.و هذه الابحاث طرقت باب الأخلاق الإنسانية وا المتعلقة بقدسية الكائن الحي و الحياة , وحساسية الإنسان كموضوع لتجربة البيولوجية لا تعرف الحدود.إذا ما كان الحديث مثلا عن استنساخ الإنسان بعدما طبق على الحيوان و النبات . خصوصا أنه لايوجد عائق علمي أمام هذا الأمر , و هذا جعل طفو معارضات شديدة من المنظمات و الجمعيات المدافعة عن الأخلاق و من بعض الإبستمولوجيين و العلماء أنفسهم

و الحقيقة أن الثورة البيولوجية التي اخذت بالتوسع لا تتوقف عند الاستنساخ بل تطرح قضايا فلسفية و أخلاقية من خلال إمكانيات و تطبيقات بيولوجية ,كفكرة الموت الرحيم و نزع أجهزة الانعاش الطبية , و اطفال الأنابيب و التلقيح الاصطناعي و بنوك الأجنة و قانونية عملية الإجهاض و تأجير الأرحام ...الخ.

و من كل هذا تظهر ضرورة الدراسات النقدية المنصبة على هذا الموضوع , و التي انتظمت في إطار لجان و جمعيات و منظمات من أجل أخلاق للبيولوجيا و هي ما اصطلح عليه بالبيوإتيقا.

و أسباب إختيار البحث منها ماهو ذاتي , يتعلق بشغف بفلسفة العلوم عامة و علم الأحياء خاصة , و بإرادة قوية في البحث في أخلاق العلم , و أكثر العلوم احتكاكا بماهية الإنسان هي علم الأحياء , و الأسباب الموضوعية

هي محاولة تقديم دراسة نقدية لنتائج البيولوجيا المعاصرة , و هذا النقد بطبيعة الحال يحمل مشعله الفلاسفة .

بالإضافة إلى قلة الدراسات الإبستمولوجية العربية , ما جعل المكتبات العربية شبه مفلسة بالمواضيع الجديدة الحية , و بالتالي نحاول إثراء مكتباتنا بماهو معاصر بدل المواضيع المستهلكة .

و تهدف هذه الدراسات النقدية محاولة الفهم الحقيقي للتقنيات البيولوجية و الطبية المعاصرة , و هذا كان هدف الكثير من الإبستمولوجيين في الوقت الراهن و في هذا السياق يأتي الفيلسوف "فرانسوا داغوني " الذي أسس لفلسفة تهتم بالمستقبل , من حيث اهتمامها لما تعده العلوم و المعارف خاصة في الميدان البيولوجي . فماهي معالم فلسفة فرانسوا داغوني ؟ كيف أسس ابستمولوجيا خاصة بالطب ؟ ماذا تعني البيوإتيقا عند فرانسوا داغوني و ماهي ضرورتها ؟

و للإجابة عن تلك التساؤلات , انتهجنا في هذا البحث المنهج التحليلي النقدي , بحيث يهتم البحث بعرض الأفكارالأساسية في ما يخص تطور البيولوجيا و ظهور إبستمولوجيا

تخص ميدان علوم الأحياء , و بالتالي نقد لأعم النتائج و التقنيات التي توصلت إليها البيولوجيا خاصة في ميدان الطب و هذا ما استدعى ضرورة البيوإتيقا و قد اختص البحث بعرض البيوإتيقا عند الفيلسوف فرانسوا داغوني الذي حاول بناء فلسفة أخلاقية للطب المعاصر .

أما المحتوى المعرفي لهذا البحث , فقد تشكلت بنيته من ثلاثة فصول في محاولة للإجابة عن تلك الإشكالات المطروحة سابقا :

الفصل الأول : كان عنوانه : من البيولوجيا إلى البيوإتيقا و ينقسم إلى مبحثين : الأول نعرض فيه ظهور البيولوجيا و نحلل فيه معنى البيولوجيا و تطور الثورة البيولوجية , و المبحث الثاني نتناول فيه تطور أخلاق الطب و ظهور ميدان البيوإتيقا.

الفصل الثاني : موسوم تحت عنوان بين الفلسفة و البيوإتيقا عند فرانسوا داغوني و ينقسم إلى ثلاثة مباحث , المبحث الأول حاولنا أن نقف فيه على جانب من السيرة الذاتية لداغوني و عرفنا بأهم معالم فلسفته , أما المبحث الثاني تناولنا ابستمولوجيا الطب عند "داغوني " نحلل فيه معنى الإبستمولوجيا و من ثمة نعالج الفيزيولوجيا عند داغوني كونها تشكل إبستمولوجيا الطب لديه, أما المبحث الثالث فقد أردنا من خلاله تحديد رؤية داغوني للطبيعة و للكائن الحي , و تحديد معنى البيوإتيقا بالنسبة لداغوني و توضيح ضرورة هذا الميدان عند الفيلسوف.

أما **الفصل الثالث** : فقد خصص لمناقشة أهم القضايا التي طرحتها البيولوجيا المعاصرة و قدمنا موقف داغوني البيوإتيقي منها و المبحث الأول يعالج مسألة الاستنساخ و زرع الأعضاء و المبحث الثاني يهتم بتقنيات الحمل المساعدة و قضية الإجهاض.و المبحث الثالث يرصد مسألة الموت الرحيم.

و لا يتم أي بحث بدون مواجهة بعض الصعوبات منها ما يتعلق بصعوبة الرجوع إلى المصادر الأصلية , وصعوبة ترجمتها إذا توفرت , و قلة الدراسات حول الفيلسوف داغوني كونه مفكر معاصر و إضافة إلى قلة الدراسات حول البيوإتيقا , و رغم ذلك حاولنا التغلب على بعض الصعوبات , إيمانا منا أن أي بحث لابد له من جهد و صبر , حتى يؤتى أكله بإذن الله.

الفصل الأول: من البيولوجيا إلى البيوإتيقا

المبحث الأول : البيولوجيا المعنى و التطور.

المبحث الثاني : مفهوم البيوإتيقا و ضرورتها.

لقد شكل القرن الواحد و العشرون عصر الثورة البيولوجية بامتياز , بعدما كان القرن التاسع عشر و العشرون عصر التكنلوجيا , إذ تمكن العلماء من فك الشفرة الوراثية للإنسان و فهم مكوناتها و الخصائص التي تحملها و فتح الباب أمام إمكانيات لتطبيق نظريات علمية في مجال البيولوجيا بإمكانها أن تغير النظرة الفلسفية و الدينية و الإجتماعية للإنسان , إن الإنجازات العلمية الباهرة للبيولوجيا المعاصرة و المتعلقة بالتحكم في الحياة و الإنجاب و الوراثة و مواضيع اخرى لم تأتي دفعة واحدة . و لكن قوة النتائج سرعت بظهور دراسة نقدية لهذه النتائج , حيث أن البيولوجيا المعاصرة مست الجانب الروحي للإنسان , فكان لابد من أخلاق خاصة بعلوم الأحياء و هذا ما اصطلح عليه بالبيوإتيقا.

المبحث الاول : البيولوجيا المفهوم و التطور .

1_ مفهوم البيولوجيا :

ان كلمة البيولوجيا استعملت لاول مرة في القرن التاسع عشر على يد العلم الاماني **تريفرانوس** في كتابه biologie ou philosophie de la nature vivante و بالنسبة اليه البيولوجيا كلمة تدل على التأمل في مختلف الظواهر . و اشكال الحياة للشروط و القوانين التي تنظم وجودها . و الاسباب التي تحدد نشاطها .[1]

ترد في موسوعة لالاند الفلسفية "علم الاحياء" بانها مفردة ابتكرها **لامارك** للدل عموما على علم الكائنات الحية أي علم النبات و علم الحيوان من حيث الموضوع و على علم التشكل . **شكالة*** و علم الوظائف **وظافة*** مع كل متفرعاتهما من حيث المسائل . يطلق **بالدوين** على الوجهة الاولى اسم special biologie و genral biologie على الثانية اسم علم الاحياء الخاص و علم الحياء العام .[2]

كما يرد مصطلح بيولوجي هو علم الاحياء الذي يدرس الحياة و تتناول البيولوجيا الحياة كشكل خاص لحركة المادة كما تتناول قوانين تطور الطبيعة الحية و كذلك الاشغال المتشعبة للكائنات الحية من حيث بنائها و وظيفتها و تطورها و ارتقائها و علاقتها المتبادلة مع البيئة . و تشمل البيولوجيا على بعض العلوم الجزئية مثل علم الحيوان و علم النبات و علم وظائف الاعضاء و علم الاجنة و علم الوراثة ..الخ , و ترتبط البيولوجيا بعلم السياسة من خلال بعض النظريات التي تفسر النظم الساسية مثل نظرية النظم التي كانت اصولها بيولوجية .[3]

و ورد في القاموس الموسوعي اوزو **AUZOU** ان البيولوجيا هو – علم الكائن الحي . الذي يتعلق بدراسة الاجسام الحية في مختلف جوانبها –.[4]

---

[1] Tetry andree . biologie . encyclopedie universalis. V6 .0.72. France S.A.27/06/2002.

[2] اندري لالاند . موسوعة لالاند الفلسفية. ج1 . تعريب احمد خليل . منشورات عويدات . بيروت . لبنان . ط2 . 2001م . ص136

[3] ص102 معجم مصطلحات عصر العولمة . اسماعيل عبد الفتاح الكافي .

[4] PHILIPPE AUZOU. Dictionnaire encyclopedique

و كلمة بيولوجيا ابتكرت منذ قرنين , من طرف لامارك للتعبير عن الوحدة التي تشمل كل الكائنات الحية و تعيد دمج الانسان الذي نظر اليه الى حد ذلك الوقت كماهية الهية (essance divine) .من بين الكائنات الحيوانية و النباتية .[1]

و جاء في الموسوعة العربية العالمية ان علوم الحياة و تسمى ايضا العلوم الحيوية او علم الاحياء تعنى بدراسة الكائنات الحية . و هناك مجالان رئيسيان في علوم الحياة , هما علم النبات الذي يتعامل مع النباتات و علم الحيوان الذي يتعامل مع الحيوانات , و يقسم كل من علمي النبات و الحيوان الى فروع اضافية مختلفة يمكن تقسيم كل منهما ايضا الى مجالات دراسات متخصصة , و تنطبق اغلب فروع علوم الحياة الرئيسية بشكل متساو على كل من الحيوانات و النباتات و تتداخل العديد من الفروع كعلم التشريح و علم وظائف الاعضاء بعضها مع بعض و تسهم بقدر كبير في دراسة الطب .[2]

هذا و تتشعب الدراسات البيولوجية الى عدة فروع , و تخصصات كعلم التشريح و علم الانسجة و علم الخلايا و علم التشريح المقارن و علم وظائف الاعضاء , و هناك ايضا فرع الكيمياء الحيوية و الفزياء الحيوية و فروع اخرى كعلم الوراثة و علم الاحياء الجزيئية و علم الاحاثة و علم التصنيف و علم الاحياء الاحتماعي و علم البيئة . و اما بعض التخصصات فتتميز بدراستها لانواع معينة من الكائنات مثل البكتيرولوجيا و علم الطيور و علم الاحياء البحرية .[3]

و مهما يكن من امر فان البيولوجيين و الفلاسفة عندما يتكلمون عن الحياة , فانما هم في العادة لا يعنون بذلك ظاهرة المعيشة التي هي نقيض الموت , و انما هم على الارجع يعنون خاصية الحياة التي هي نقيض انعدام الحياة

[1] Claude lafon . la bioligie autrment (100 questions de synthese) . ellipses . larouni . France. 2003 . p03.

[2] الموسوعة العربية العالمية . الامين العام للمؤسسة . فيصل بن سلطان نايف عبد العزيز ال سعود . مؤسسة اعمال الموسوعة للنشر و التوزيع . الرياض السعودية . ط02 . 1999 . ص 370 .

[3] المرجع نفسه . ص 370.

في أي جماد . و لقد كان من الاهداف الرئيسية لعلم البيولوجيا القاء الضوء على هذه الحقيقة المسماة بالحياة و لكن المشكلة هنا هي ان كلمة الحياة يفهم منها شيئ , قد يكون قوة او مادة ظل الفلاسفة و البيولوجيين قرونا يحاولون تعريفه من دون طائل , و في الحقيقة ان لفظ حياة هو مجرد تعبير عن عملية المعيشة و هذا هو ما لا يستطيع فعله مع الحياة كمصطلح تجريدي ,كما ان باستطاعة المرء انيصف ظاهرة المعيشة بل و يحاول ان يحدد ماهيتها و ان يعرف ماهية الكائن المتعضي الحي , و ان يحاول وضع حد فاصل بينه و بين ماهو غير حي حقا ان المرء يستطيع حتى ان يحاول شرح كيف ان المعيشة كعملية يمكن ان تكون نتاج تجمعات من الجزيئيات التي هي في حد ذاتها محرومة من الحياة .[1]

و لعل هذا ما جعل منذ الصفحات الاولى من مدخل **التاريخ الطبيعي للحيوانات غير الفقارية** . كتب لامارك " ان الحيوانات كائنات مدهشة غاية الادهاش , و مثيرة جدا للفضول , و تلك التي انا مكلف خاصة بان اعطي عليها البرهان هي كائنات فريدة غاية الفرادة بتنوع تعضيتها و ملكاتها الى حد يجب الا نهمل معه اي وسيلة قادرة على اعطائنا عنها فكرة صحيحة , و على ان نلقي عليها اكبر قدر من الاضواء " و بعد بعض الصفحات تصبح الحيوانات بصورة عامة هي التي توصف من حيث هي كائنات فريدة لاننا بحسب لامارك لم نصل بعد الى حالة يمكن ان نعطي فيها تحديدا ثابتا تباتا تاما عما يكون الحيوان [2].

و ليس من الغريب ان نرى التطور الواضح للبيولوجيا من خلال كل هذه الفروع التي تهتم بدراسة المادة الحية و نحن في القرن الواحد و العشرون القرن الذي يعد تتويجا و حصيلة لما تم بحثه من طرف علماء بيولوجيين متخصصين ارسوا معالم البحث البيولوجي . و من الواضح التقدم في الدراسات العلمية التي تهتم بالمادة الحية قد تاخر مقارنة بالتقدم الذي تم احرازه في الفيزياء و الكيمياء و الفروع التابعة لها , و سبب ذلك هو اولا تعقد الظاهرة الحية التي

[1] ارنست ماير . هذا هو علم البيولوجيا .ت عفيفي محمود عفيفي . عالم المعرفة . الكويت . 2002 . ص 17

[2] جورج كانغيلام . دراسات في تاريخ العلوم و فلسفتها . تر محمد بن ساسي . مركز دراسات الوحدة العربية . ط1 . بيروت . لبنان . 2007 . ص 314.

تخضع لنظام متشابك و دقيق و الامر الثاني هو جملة الصعوبات التي طرحها البحث البيولوجي من الجانبين الديني و الاجتماعي . الخاصة مثلا بقدسية المادة الحية , خاصة الانسان و امكانية دراسته دراسة بيولوجية (التشريح مثلا). [1]

و نخلص اذا الى ان علم الاحياء او البيولوجيا الحديثة علم يختص بدراسة كل ماهو حي من نبات او حيوان و هو يتضمن ما كان من الاحياء نباتا و ما كان حيوانا و هو ذو افرع عدة كما انهو يدرس تركيب الاحياء و بنائها و هو ينتهي الى علم تقسيم الاحياء الى عائلات و رتب و اجناس و انواع ,بناء على ما بينها من تشابه و من اختلاف و قد يسمى هذا العلم بالبيولوجيا التنسيقية ,لأنه يضع الاحياء في نسق و نسق و نسق , و يرابط بين الانساق .[2]

هذا ما يجعلنا نتوجه لمعرفة اسباب تاخر الثورة البيولوجية .

[1] المرجع نفسه . ص370.

[2] جيمس ب .كونانت .مواقف حاسمة في تاريخ العلم . تر : أحمد زكي .دار المعارف . مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر , القاهرة , نيويورك , 1963ص 291

2_ تطور البيولوجيا:

العلم معرفة تراكمية , و لفظ "التراكمية" هذا يصف الطريقة التي يتطور بها العلم و التي يعلو بها صرحه , فالمعرفة العلمية أشبه بالبناء الذي يشيد طابقا فوق طابق , مع فارق أساسي هو أن سكان هذا البناء ينتقلون دوما إلى الطابق الأعلى . أي انهم كلما شيدو طابقا جديدا انتقلوا إليه و تلاكوا الطوابق السفلى لتكون مجرد أساس يرتكز عليه البناء .و بالتالي بمعنى أخر ثورة على ما كان قبل الإكتشاف[1] , و في مجال اليولوجيا فقد تطورت من خلال ثورة بيولوجية , أسست لعلم أحياء يستند على فكر و فلسفة معاصرة تنبذ ماهو كلاسيكي قديم.

ان مصطلح الثورة البيولوجية له دلالات كثيرة اهمها التغير سواء في النظرة للمادة الحية منها الانسان او في طريقة التعامل معها او الوسائل المستعملة في البحث العلمي البيولوجي , لنقل ان بوادر الثورة البيولوجية كانت في النصف الاول من القرن التاسع عشر , و بما ان البحث في مجال المادة الحية ليس وليد اليوم , بل خضع لتطور تاريخي قبل ان يصل الى هذا المستوى من التقدم بحيث انه يمتد الى ما قبل اليونان , و بالتالي فهو يرتبط بالتفكير الفلسفي نحاول ايجازه فيما يلي :

و انطلاقا من ان الشيئ لا يوجد من العدم فإن البيولوجيا علم من العلوم التي خضعت للتطور الى يومنا هذا , و عليه يتعين علينا ان نشير مبدئيا انه لم تعرف دراسات جادة و منظمة في مجال البيولوجيا الا في العصر اليوناني .[2] ان الحديث عن البداية الحقيقية لعلم الاحياء , هو في الحقيقة محاولة تحديد نقطة البداية للبيولوجيا في بدايتها الاولى . و هنا نجد ان الكثير من المؤلفات في تاريخ العلم و البيولوجيا تؤكد على **ارسطوطاليس** هو رائد البيولوجيا , و هو ليس بلأمر الغريب , لطالما كان ارسطو مجدد و مؤسس الكثير من العلوم و الميادين المعرفية بداية من المنطق و الفلسفة . و ما ساعده على ذلك هو نشاته في اسرة تولي اهتماما كبيرا بالطب . فاشتغال ابيه بالطب سمح له

[1] أنظر :فؤاد زكريا , التفكير العلمي ,عالم المعرفة , الكويت ,1978. ص.ص.15.16.

[2], جورج سارتون , تاريخ العلم , الكتاب الاول ' تر مجموعة علماء من الدكاترة إبراهيم بيومي مدكور , قسطنطين زريق , محمد كامل حسين , محمد مصطفى زيادة , ط2 , دار المعارف , القاهرة 1963 .ص 253.

بالتوجه نحو دراسة الطب و علم الاحياء اذ " تلقى ارسطوتعليمه الاول وفق التقاليد على يد اساتذة من اقران ابيه الاطباء الذين دمغوه و طبعوه بطابع ثقافتهم البيولوجية المتصلة بمهنتهم ..." [1]بحيث تعتبر ملاحظات ارسطو حول التكتثر و بنية الكائن الحي من خلال كتابه مقالة في تاريخ الحيوان , و كذا تصنيفه للكائنات الحية من أهم البحوث التي جعلت منه أول عالم حيوان , و لما جديرا بأن يكون أبا علم الاحياء على حد تعبير جورج سارتون الذي يقول في كتابه تاريخ العلم " ان الباحثين في علم الاحياء في عصرنا الحاضر لتعزوهم الدهشة و هم ينظرون في كتب ارسطو المتصلة ببحوثهم لوفرة ما يجدون فيها من تفصيلات .... فلقد اقتحم مجالات البحث الكبرى من تشريح مقارن , و وظائف الاعضاء . و علم الأجنة و طبائع الحيوان و توزيع جغرافي [2].

و لقد" وضع أرسطو اساسا لتفرقة الرئيسية في علم الحياة و هي التفرقة بين علم التشريح و علم وظائف الاعضاء و ذكر ان الاجزاء الحية المتجانسة مثل الدم و اللحم هي التي اذا جزئت كانت اجزاؤها غير متجانسة . تختلف في انسجتها و تتفق في اداء وظيفة واحدة ".[3]

و من المؤكد البحوث المكثفة لأرسطو في علم الأحياء قد فتحت الباب امام المهتمين من بعده بدراسة الكائنات الحية امثال بلين القديم , الذي ألف كتابا في التاريخ الطبيعي ظل مرجعا لخمسة عشرة قرنا من بعده و كذلك غالين الذي يمثل الحضارة الرومانية , و الذي عرف بإلمامه بالمعارف الطبية لعصره و معارفه الحسية و التجريبية كقوله مثلا بوجود " فتحات بين تجويفي القلب عن طريقهما يمر النفس الحيوي و الدم ".[4]

و اما تلميذه ثيوفراسطس فهو اول عالم في النبات و قد يصدق عليه ما قد صدق على ارسطو , فقد لقبه جورج سارتون باب علم النبات , يرجع هذا الى تصنيفه للنبات و خاصة امراض النبات , و هو بحث مهم ضمن تسعة

[1] حسين فرج زين الدين / رمسيس لطفي . دراسات في علم الحيوان و رواد التاريخ الطبيعي . دار الفكر العربي . د .ت . ص 295.

253 [2] المرجع نفسه

[3] المرجع السابق . ص 318

[4] Pierre baconnier . histoire des sciences . ibid . p 06

كتب في تاريخ النبات و ستة كتب اخرى تضم دراسة في علل النباتات و هو الكتاب الوحيد الذي بقي بين التوجه العلمي لبحوثه .[1]

بالرغم من النظرة العلمية التي كان اليونانيين يتمتعون بها و ذلك باعتمادهم الطريقة التجريبية الا ان الكثير من الدارسين لتاريخ العلم يرون في الجهود المبذولة , منقوصة من القدرة على النهوض بالعلم لعجزها على استنباط النظريات العلمية العامة , و لذا فالدراسات العلمية في مجال البيولوجيا , لم تكن مستقلة استقاللا تاما عن الفلسفة و العقيدة و هذا طبعا يؤثر على دقة النتائج العلمية .

أما في العصور الوسطى فقد تناول الفلاسفة اللاهوتيين القضايا الفلسفية من زاوية العقيدة الدينية و حاولوا تحديد علاقة الانسان بذاته و بما يحيط به . من خلال علاقته بالله , فصل الانسان عن ذاته الانسانية , من خلال السعي الى كبت الطبيعة البشرية . فالطبيعة فيها من الفساد و التشتت ما يجعلها بحاجة الى صبط و تقويم . و مبعث هذا هو ذلك الشعور بالخطيئة الذي يلازم الانسان و استمر هذا التصور حتى العصور الحديثة .

اذن مسار البحث في علم الاحياء اثناء فترة العصور الوسطى في الغرب كان بطيئا بل و راكدا في بعض الاحيان الا ما خلا من بعض المحاولات كاسهامات الاسقف الالمانب " البير الكبير " 1193/1280 الذي اهتم بدراسة الكائنات الحية و كتب حولها 26 كتابا , خصص 21 كتابا للتشريح المقارن للانسان مع الحيوان .

و كذلك فريديريك الثاني الذي سن سنة 1241 قرارا يسمح بتشريح الجثث الادمية , الغته الكنيسة مباشرة بعد موته . و هو صاحب دراسة مهمة تمثلت في " بحث في تربية الطيور الصائدة و ترويضها " عدت بحق موسوعة حقيقية متعلقة بعلم الطيور .[2]

أما عند المسلمين يمكن القول بصفة مختصرة ان علم الاحياء عند العرب قد بلغ تطورا ملحوظا مع اطباء و فلاسفة مشهورين و لكن لم يشكل علما مستقلا حتى في التصنيفات الفلسفية للكندي والفارابي و لقد وجب

[1] المرجع نفسه . ص 289

[2] Voir . pierre baconnier . histoire des sciences . ibid . p 09.

انتظار الاعمال التصنيفية التي قام بها "ابن النديم" و الموسوعات التي قام بها "الخوارزمي" لكي ترى مذكورة و لكن فقط كفرع من علم الفزياء .[1]

و لقد ارتكز اعمال العرب على أعمال "ارسطو" و "ابو قراط" و من سبقوهم و فهموا اعمالهم فهما وافيا و استطاعوا بعد ذلك بلوغ مرحلة الابداع في ميدان الطب و البيولوجيا , و من اشهر الاسماء اللامعة نجد على سبيل المثال لا الحصر " ... "ابا بكر الرازي" الذي كان أول من درس مرض الحصبة و الجدري دراسة علمية و له في ذلك رسالة مهمة بعنوان " الجدري و الحصبة " , و يليه الفيلسوف المشهور "ابن سينا" ,الذي اشتهر بموسوعته الطبية " القانون " . فكان من اكثر الكتب العربية ترجمة الى اللاتيني و اللغات الاوروبية الاخرى , و اشتهر "ابن رشد" الى جانب اشتغاله بالفلسفة باشتغاله بالطب , و له كتاب شهير في ذلك العنوان " الكليات في الطب " و اشتهر الى جانبه كتاب " الجامع لمفردات الاغذية و الادوية " "لابن بيطار" الاندلسي 1247م , الذي اشتمل على ما يناهز ألاف و اربعمائة مادة طبية "[2]

و لا تخفى على احد اعمال "ابن النفيس" 1288/1210 في اكتشافه للدورة الدموية . و كذلك اولى المخططات التشريحية للعين التي وضعها "حنين" 873/809 .[3]

و في العصر الحديث شكل القرن السادس عشر مرحلة متضاربة الاراء في تاريخ علوم الكائن الحي . اذ تصادم الوفاء للاوائل " ابوقراط . ارسطو . غالين " مع اكتشاف مجالات " علم الاجنة و علم دراسة الاشكال الحياة القديمة " و قد بقيت الرسومات التشريحية " لليوناردو دافنشي" حتى القرن التاسع عشر و كذلك اعمال البيولوجي و المشرح الكبير اندري فيزال الذي احدث ثورة في ميدان التشريح و صحح بعضا من اخطاء "جالينوس" و رفض فرضية الفتحات داخل تجويفي القلب , و اعمال الاسباني "ميشال سارفات" الذي أحرق في جنيف بأمر من

[11] Voir . ahmed djebbar . une histoir de la science arabe . edit seul . 2001 . p 305.

[2] طه باقر . موجز في تاريخ المعارف و العلوم في الحضارات القديمة و الحضارة الاسلامية . مرجع سابق . ص 172

[3] Voir . ibid .p10

كالفين المنتقد في كتاب من كتبه , الذي وصف فيه الدورة الصغرى بصفة دقيقة , و كذلك اعمال "غابريال فالوب" الذي درس النظام العصبي و برع في فهم الجهاز التناسلي .[1]

و تميز القرن السابع عشرة بوصف " هارفي" للدورة الدموية و تقديره لسرعة و خفقان القلب , و بداية نظرية الخلايا مع الميكروسكوبيين , أمثال "هوك" و "ليفنهوك" و "سوامردم "و "مالبيجي" . حيث وصف "ليفنهوك" كريات الدم الحمراء لكثير من الفقريات و اللافقاريات و درس ايضا العديد من الانسجة الحيوانية , و اما الفيزيولوجي "سوامردم "فقد اهتم بعلم الاجنة و برع في التشريح خاصة تشريح الحشرات "[2]

و لقد امتد تاثير الحضارات القديمة لا سيما اليونانية و الاسلامية منها في المجال العلمي الى العصور الحديثة بحيث ظلت كتب اليونانيين و كتب المسلمين في الطب خاصة تترجم و تدرس الى عهد قريب بشكل واضح , و لم يتحول الطب من مجرد فن للعلاج , الى علم له اسسه المنهجية و طرائقه في البحث و الاكتشاف الا في المرحلة الوضعية للعلم . يعتبر القرن الثامن عشر عصر التنوير , و هو عصر الايمان بقدرة العقل على كشف اسرار الكون . و تحت تأثير فكرة الحتمية الميكانكية الشاملية , و الحتمية مبدأ يفيد عموم القوانين الطبيعية و ثبوتها . فلا مصادفة ولا حرية و لامبالاة . و يقوم على الشرائط الضرورية لتحديد ظاهرة ما . فكل شيئ في الوجود يرد الى العلة و المعلول .[3]

و قد اثر هذا على اعمال البيولوجيين و علماء الحياة , الى درجة أنهم حاولو تطبيق المنهج التجريبي المستعمل في دراسة المادة الجامدة على المادة الحية , و كان من نتائج كل هذا تغير نظرة العلماء للطب و اليولوجيا , و تغير نظرة الفلاسفة للحياة , لقد كان رد فعل العلم ضد الفلسفة واضحا .[4]

---

[1] Voir . ibid . pp12/11

[2] Voir . ibid . pp14/15

[3] إ. م. بوشنكي . الفلسفة المعاصرة في اوروبا . تر عزت قرني . سلسلة عالم المعرفة . المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب . الكويت . العدد165 . سبتمبر 1992 م . ص 31

[4] برتراند راسل . حكمة الغرب . ج1 . تر فؤاد زكريا . سلسة عالم المعرفة . المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب . الكويت . العدد62 . فبراير 1983 . ص196

ان بوادر الثورة البيولوجية كانت مع بدء الرحلات العلمية لجمع اكبر عدد ممكن من المعلومات حول الحيوانات و النباتات , فحتى منتصف القرن التاسع عشر كانت البحوث ترتكز على احصاء الكائنات الحية و وصف مظاهرها و بنيتها و قد ساهم في هذا العمل كل من علماء الحيوان و علماء النبات .[1]

ثم تبعتها مرحلة اخرى مهمة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تمثلت في الاهتمام بدراسة وظائف الكائن الحي , ادى الى تطور ملحوظ لعلم وظائف الاعضاء تحت تأثير اعمال "**كلود برنار**" و هي فترة حاول فيها العلماء تقديم تفسيرات لكثير من مظاهر المادة الحية و نشاطها .

و في هذا المجال نجد مساهمة **تشارلز داروين** و البحوث التي قدمها في كتابه المشهور "اصل الانواع" , بعد أن قام بسفرة بحرية حول العالم و لاحظ أنواع الحيوانات المختلفة و التطور التباين لبعض الأنواع الحيوانية في الأماكن النائية و المنعزلة مثل جزر كالاباكوس القريبة من دولة إكوادور في أمريكا الجنوبية , و أحدث هذا الكتاب ثورة في المفاهيم العلمية أنذاك , أما تعبير الدروينية فقد استخدم لأول مرة من قبل "توماس هكسلي " في سنة 1860 ليصف مفاهيم التطور التي جاء بها داروين و من سبقه من علماء الأحياء كذلك . و أصبح التعبير يعني في فترة لاحقة الانتقاء الطبيعي باعتبار ذلك الطريقة الوحيدة للتطور .[2]

و الصورة النهائية و العلمية التي اخذتها النظرة التطورية التي جاء بها **لامارك** قبل خمسين سنة . الذي عرض افكاره في كتابه "فلسفة علم الحيوان " بين فيه علاقة التطور بالبيئة . فالكائنات الحية سلكت مسلكا يكفل لها الانتفاع بالبيئة .

[1] يمنى طريف الخولي . فلسفة العلم في القرن العشرين . سلسلة عالم المعرفة . المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب . الكويت . العدد264 . ديسمبر2000 . ص 13.

[2] برتراند راسل , أثر العلم في المجتمع ,تر: صباح صديق الملوجي ,الطبعة 1 , المنظمة العربية للترجمة , بيروت . 2008 ص.ص.161.162.

اما قانون الانتخاب الطبيعي فهو سنة طبيعية تسوق الى تهذيب الكائنات الحية من طريق اتصالها بالمؤثرات العضوية و غير العضوية المحيطة بها في الحياة . و تدفع النظام العضوي برمته الى التقدم و الارتقاء في فترات الزمان . حتى تصبح ذات كافية تماما لما يحيط بها من الظروف الملائمة لمراكزها التي تشغلها في الطبيعة .[1]

و من اكبر ابحاث القرن التاسع عشر , تطور نظرية الخلايا مع "ماتياس جاكوب شليدن" (1881/1804) الذي قال انه بالنسبة لعلم النبات تكون الخلية عضو صغير , و ان كل نبتة لها مجموعة خلايا تتميز بالفردية و الوجود الخاص و اما تيودور شوان (1882/1810) فاعتبر ان الخلية في علم الحيوان هي " الوحدة الاولية للحياة " . و نشير الى ان عالم دراسة الخلية سمح بظهور علم الاجنة و تطوره و قدرة العلماء بتعبير "جون رستن" على ارجاع كل مراحل تطور الكائن الحي الى تقسيمات و تغيرات و تنقلات للخلايا , و عرف أيضا القرن التاسع عشر في ميدان الوراثة تطورا هائلا بفضل ابداعات"جوهان غريغور مندل " الذي توصل الى قوانين الوراثة و قضية انتقال الصفات الوراثية .[2]كما أن توجه العلم هذا دافع عنه كثيرا الفيزيولوجي الفرنسي **"كلود برنارد"** الذي اسس هو و **"فرانسوا ماجندي"** فرع الفيزيولوجيا التجريبية .[3]اذ وضع "كلود برنارد" الأساس النظري و المنهجي لفكرة تطبيق المنهج التجريبي على المادة الحية في كتابه المشهور " "مدخل الى دراسة الطب التجريبي " الذي اكد فيه على ان الطب يتجه نحو مساره النهائي ...ليلبس شيئا فشيئا الصفة التأملية و يدخل أيضا تدريجيا في منهج البحث العام للعلوم التجريبية " .[4]

[1] شارل داروين . اصل الانواع . تر اسماعيل مظهر . ج1 . المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية . الجزائر . 1991م . ص250

[2] Pierre baconnieir . histoire de sciences . ibid . pp24/25

[3] In . ibid .p26

[4] Claude bernard . introduction a lètude de la medcine expèrimentale . ibid . p06

و جدير بالذكر ان نقول بأنه من العوامل الرئيسية لتطور علم الأحياء في عصر "كلود برنارد" هو اهتمام بعض الفيزيائيين و الكيميائيين بظواهر المادة الحية , و ما حدث معه من انتقال للمنهج المعتمد في دراسة المادة الجامدة الى حقل البيولوجيا , ما ادى ظهور فرع البيوكمياء الذي يعد "**لينينغ**" من بين مؤسسيه.[1]

العوائق الابستمولوجية التي أخرت البحث البيولوجي :

النظرة الخاصة للمادة الحية (قدسية المادة الحية) خاصة منها الانسان . ذلك أن الفلسفة سعت من خلال الدراسة الأخلاقية الى فهم الانسان و مكانته في الوجود , و قد اختلفن نظرتها للانسان من عصر الى اخر قدسية الحياة و الانسان ترجع الى جذور دينية على العموم و تتمثل في حرمة الانسان . فالحياة قبس من الله حتى انه كان يعتقد قديما ان الله خلق الانسان على صورته , فالانسان صورة من صور الكمال , و كان يعتبر في بعض الحضارات الها .[2]

ففي العصر اليوناني كان الهدف خلق المواطن الصالح . من خلال وضع اخلاق الانسان الفاضل و قد كان الجسد يمثل الجانب الحيواني فيه . بينما الروح هي الجانب المقدس و كان الهدف جعل الروح هي المسيطرة , و لذا نجد افلاطون في محاورة فيدون الفيلسوف يرحب بالموت لانه يخلصه من الجسد سجن الروح , و الاغرب من هذا هو اننا نجد المجتمع اليوناني المعروف بطبقيته بدوره ينقسم الى عبيد يعملون بايديهم يمثلون (الجسد) . اما الروح يمثلها من يعملون بعقولهم.[3]

في ميدان علم الأحياء ليست كل التفسيرات العلمية مؤسسة على قوانين ذات صيغة كلية ." إن إصابة الصغير بالحصبة قد تفسر بالقول إنه قد أصيب بعدواها من أخيه الذي عانى من هذا المرض منذ بضعة أيام . يقيم هذا التفسير علاقة بين الحدث المفسر و حدث أسبق منه , و كونه تفسيرا إنما يرجع إلى وجود ارتباط بين التعرض

---

[11] In . ibid . p26.

[2] وول ديورانت . قصة الحضارة , ج2 , المجلد ال أول , تر : زكي نجيب محمود . دار الجيل , بيروت , لبنان , 1988 م , ص 95

[3] ناهد البقصمي . الهندسة الوراثية و الاخلاق. سلسة عالم المعرفة . المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب .الكويت . العدد 147 . جويلية 1993 .ص.97.

للحصبة و الإصابة بها , على ذلك ليس بالمقدور التعبير عن هذا الارتباط بقانون ذي صيغة كلية , فليست كل حالات التعرض للحصبة تؤدي إلى العدوى بها .[1]

من اسباب تاخر البيولوجيا كذلك الفهم المختل للدين , ادى هذا الى حرمان الكثير من العلماء من البحث و التنقيب في التركيب الداخلي للكائن الحي و هذا ما نلاحظه خاصة في اوروبا الوسيطية اثناء سيطرة الكنيسة , مما ادى الى تاخر علم التشريح . نتيجة تحريمه .

بالإضافة إلى تعقيد المادة الحية . اذا ما قورنت بالمادة الجامدة . فهذه الاخيرة يمكن التجريب عليها و التدخل في نظامها . تفكيكها . اعادة بنائها هذا لا يغير من طبيعتها الا القليل .

اما المادة الحية . فكونها تتصف بالوحدة و العضوية , فهي ان تعرضت للتجريب او التفكيك او اي تدخل . يؤثر هذا عليها . و على طبيعتها , لان للمادة الحية ردود فعل خاصة لا تتوفر عليها المادة الجامدة . هذه الاسباب اثرت بشكل سلبي على البيولوجيا و ثبطت مسار تطور البحث البيولوجي الى غاية بداية القرن التاسع عشر . اين عرفت البحوث البيولوجية تغيرات عميقة توقفت على النتائج التي توصلت اليها , و هذا يعني انه بالرغم من التطور الذي احرزته البيولوجيا , خلال القرن السابع عشر و الثامن عشر , الا انها لم تزل في نظر الفيلسوف داغوني في مرحلة ما قبل العلمية . لانها كانت تخلط بين ادق الملاحظات و التجارب بمذاهب مبعثرة تعتمد المجاز .

[1] باروخ برودي , قراءات في فلسفة العلوم ,تر : نجيب الحصادي ,الطبعة 1 , دار النهضة العربية , بيروت , 1997م.ص62

المبحث الثاني: البيوإتيقا .

1_تقدم اخلاق الطب

من المسلم به ان الطابع التراكمي للمعرفة قد ساد في كل المجالات للمعرفة علمية كانت ام فلسفية لا تبلغ درجة من التطور إلا بعد نضجها و مرورها بمساهمات متعددة , و هو شرط بلوغ أي فرع من المعرفة الإنسانية إلى درجة عالية من التنظير و التجديد .

من هذا المنطلق نجد ان البحث العلمي المنصب على دراسة المادة الحية لم يبلغ في بدايته الاولى درجة عالية من التطور و التجريد , لأنه ارتبط بالممارسة العملية البسيطة و المباشرة , أي بمجرد ممارسات طبية لا تستند في الغالب إلى أي سند نظري محكم , و التي كانت موجهة لحفظ بقاء الفرد , إذ لابد أن تكون الأفكار المتعلقة بالحياة و الموت و الصحة و المرض و وسائل إطالة العمر أو استعادة الصحة بعد فقدها أول ما يشغل العقول الانسانية في كل مكان و لابد أن تتوقع أن تلك الافكار أو بعضها على الأقل , و هو أكثرها إرضاء للإنسان و إسعاد اله , انتقلت من جيل إلى جيل في غضون ألاف السنين ."[1]

و لكن يعد البحث في الوسائل و طرق معالجة الجسم من الاهتمامات الضاربة في القدم قدم وجود الانسان نفسه على وجه الارض , حيث نجد في الحضارة الصينية مجموعة من المعارف حول مختلف الحيوانات و كذا أقدم المخططات المعروفة حول التركيب الداخلي لجسم الإنسان , و هو ما وجد كذلك عند السومريين و البابليين و كذا المصريين القدامى الذين عثر عندهم على رسوم الحيوانات الفقرية و غير الفقرية .[2]

و نظرا للحالة الفكرية العامة التي كان يعيشها إنسان ما قبل التاريخ , المتميزة في كثير من الأحيان مثل إلى التفسير الخرافي و الأسطوري , أي عزو مختلف الظواهر الطبعية إلى قوى غيبية خارقة , فغن البحث المنمركز على

[1] جورج سارتون , تاريخ العلم , الكتاب الاول ' تر مجموعة علماء من الدكاترة إبراهيم بيومي مدكور , قسطنطين زريق , محمد كامل حسين , محمد مصطفى زيادة , ط2 , دار المعارف , القاهرة 1963 , ص261.

[2]Voir , pierre baconnier , histoir de sciences et élément d 'épistémologie , faculté de médcine de gronoble 2007-2008,p3

الكائنات الحية امتزج فيه جانب تجريبي حسي و اخر ميتافيزيقي سحري بتفسير المرض بقوى شريرة و معالجته كذلك بالإستعانة بقوى سحرية و ببعض العقاقير , و هو ماعلق عليه جورج سارتون أنه أمر " درج عليه رجال الأدوية البدائية أو الشامانيون , و من الجائز أن يكون النجاح العجيب الذي أحرزه بعض هؤلاء الشامانيين راجعا إلى ما كان عندهم من قوة الوساطة أو الاعتقاد العام في مثل هذه القوة " .[1]

لقد مر الطب بمراحل كثيرة قبل ان يصل إلى ماهو عليه اليوم . اختلفت فيها نظرة الفلسفات و الفلاسفة له , في الحضارة البابلية نشات مهنة منتظمة للأطباء دات أجور و عقوبات يحددها القانون , فكان المريض الذي يستدعي طبيبا لزيارته يعرف مقدما كم من المال يجب عليه أن يؤديه نظير هذا العلاج او ذاك , و نظير هذه الجراحة أو تلك , و إذا كان هذا المريض من الطبقات الفقيرة نقص الأجر لكي يتناسب مع فقره , و إذا أخطأ الطبيب أو أساء كان عليه أن يؤدي للمريض تعويضا .[2]

أعظم وثيقة تتعلق بالطب البابلي هي قانون **حامورابي** إلا أنن هذا القانون لا يتحدث عن الأطباء الباطنيين , بل عن الجراحين فقط , لأن الطبيب الباطني كان شخصا مقدسا , اما الجراح فكان صاحب حرفة . ويمتلئ الطب البابلي بالثيوقراطية * فالألهة هي خالقة الخير والشر , و ما الامراض إلا دلالة على سخطها الذي تقصر عنه الافهام.[3]

و لقد تكونت عند المصريين معرفة بتقنيات و فنون الطب ظهرت عند أطباء مشهورين أمثال جالينوس و أبوقراط الذي عاش بين 459 و 377 ق.م , وأسس مدرسة كوس للطب و الكشف و التشريح أين تناول بشكل تطبيقي الفيزيولوجيا و علم الأجنة و التشخيص و أمراض النساء و أقام فكرة التطبيب على ثلاث خطوات رئيسية و هي

[1] جورج سارتون , تاريخ العلم , مرجع سابق , ص251.

[2] وول ديورانت , قصة الحضارة , ج2 , الكتاب الاول . ص 252.

[3] جورج سارتون , تاريخ العلم .ص.200.

*ثيوقراطية : يطلق على كل نظام ساسي مبني على سلطان إلهي تمثله السلطة الروحية .ـ المعجم الفلسفي , جميل صليبا , ج1 , ص100/199 .

الملاحظة الدقيقة لكل شيئ و التركيز على دراسة المريض أكثر من دراسة المرض للوصول إلى تقييم صادق و أمين لحالة المريض [1]. و هو الأمر الذي مهد لظهور علم الأحياء بالمعنى الحقيقي مع الفيلسوف ارسطو طاليس .

و لقد كان السبق للمدرسة الابوقراطية صحب اهم المدارس الطبية التي نضج فيها الطب و تسمى مدرسة كوس (جزيرة كوس تقع جنوب شرق اليونان في بحر ايجه , خارج ساحل تركيا و هي ثاني أكبر جزر دوديكانيزي و يعتقد أنها كانت نسقط رأس أبقراط) .[2] و يعتبر **ابقراط** من بين الفلاسفة الذين برعوا في الطب (460/377 ق.م) .

يقوم مذهب ابقراط على نظرية الفيزيسPhysis, من أهم المفاهيم في الفلسفة اليونانية , و قد ترجمه الرومان إلى Natura , ترجع أصوله إلى معنيين : الميلاد naitre و النمو croitre و هي عند انبدقليس تعني الميلاد naissance و التوليد أو الإنشاء Génération . ينتج من هذا المفهوم اتجاهان احداهما فلسفي خالص , و الأخر أخلاقي* . و في هذه الحالة تعني فيزيس الطبيعة العميقة الداخلية للشيئ , أي ما يؤسسه و يبقي عليه , ما يشكل جوهره , و من جهة أخرى الفيزيس تمثل بالنسبة لكل موجود , حدوده, ما يمكن أن يكون عليه , حدود لا يمكن تجاوزها دون إحداث خلل .[3]

و من كلمة فيزيس ركبت كلمة "فيزيولوجيا" و التي تعني علم الطبيعة , و المقصود طبيعة الإنسان .[4]

و قد أشار إلى هذا المفهوم الفيلسوف **داغوني** في كتابه Nature *لقد اعتمد ابقراط في نظريته في الأخلاط و الأمزجة , على نظرية يونانية طبيعية هي نظرية العناصر الاربعة التي ترجع الى الفيلسوف ابدقليس وكان هو كذلك

---

[1] Voir , pierre baconnier , histoir de sciences et élément d 'épistémologie , Ibid . p05

[2] جورج عفاكي , أبقراط بين الاسطورة و التاريخ . http://www.alepdent.net/hippocrates.htm.

[3] Pierre aubenque , phisis, encyclopédie universalis.

[4] محمد عابد الجابري . العقل الأخلاقي العربي , ص ,258

*يرجع أصلالكلمة nature في نظر داغوني إلى كلمة natus و كلها تتجه إلى معنى الحياة ' الإستعدادات القبلية للكائن الحي عند ولادته ' أي الفطري , و في اليونان phusis و الذي يعني التوالد أو التكاثر .

_francois dagognet , nature ,librarie philosophique , j . vrin , paris , 1990,p19

طبيبا و مؤسسا لمدرسة صقلية الطبية .كما نجد عند متأخري الفيتاغوريين النظرية الأمبادوقلية في العناصر الأربعة مرتبطة بالأضرار و هي : الحار و البارد . و الرطب و اليابس .[1]

إن المعرفة العلمية الطبية عند اليونان لم تمنعهم من وضع قواعد أخلاقية تعمل على توجيه . و مراقبة الطبيب , سواء في عمله أو في علاقته مع المريض . و هو مضمون كتاب واجبات الطب , و منها كتب كتب الواجبات المهنية ككتاب القسم ,كتاب القانون ,كتاب اللياقة ,كتا النصائح , و الفصل الأول من كتاب الطبيب .

و أحسن مثال يمكن أن اقدمه في هذا الشأن . ما يعرف بقسم **ابقراط** و هو أقدم النصوص , و اهمها الخاصة بواجبات الأطباء , و هو بمثابة ميثاق Syngraphe أو يمين كان الطلاب المتدربون يحلفونها قبل أن يقبلوا كأعضاء في النقابة أو جمعية الأطباء الكوسيين , و فيها يتعهد المتدرب أن يعامل أبناء الأستاذ كما لو كانوا اخوته و أن يشرك في الرزق و يساعده إذا دعت الحاجة إلى ذلك و أن يعلم أولاده دون مقابل أو قيد ,كما يعلم أولاده هو و قليلا من الطلاب الذين أقسموا . و هذا دليلا على احتكار هذه المهنة .[2]

أخلاق الطب عند المسلمين :

لا يمكن إنكار ما لليونان من تأثير على المسلمين و على حضارتهم , فالفلسفة الإسلامية فلسفة متأثرة بالفلسفة اليونانية حتى أصبحت مشابهة لها , في أصولها و مبادئها , لكن متباينة معها في المقاصد و الغايات .[3]

و عليه فإن حركة النقل في تاريخ الفلسفة الإسلامية , لا تقل أهمية عن حركة الابتكار نفسها . و قد أثبت العرب و المسلمون من خلال أعمالهم , أنهم لم يكتفوا باقتباس التراث العلمي للحضارتين القديمتين الفارسية واليونانية

---

[1] جورج سارتون . تاريخ العلم , ج2 , ص 213.

- الأخلاقي , الحس , الحس الأخلاقي اسم أطلقه فلاسفة من أمثال هتشسون و دفيد هيوم على القدرة التي نحتاز على التمييز بين الفضيلة و الرذيلة , يشار إلى مثل أولئك الفلاسفة بأنهم عاطفيون , لأنهم يفترضون أننا نشعر بأن الأشياء خيرة أو سيئة عوضا عن الاستدلال على انها كذلك ... , و يعتبر جين أوستن أن عدم " شعور المرء كما يجب " خطأ , غير أن ثمة رأي سائد يقر أن الأحكام الأخلاقية مسألة عقل أو تفضيل شخصي . أنظر : تد هوندرتش ,دليل أكسفورد للفلسفة , تر نجيب الحصادي ,الجزء2 , المكتب الوطني للبحث و التحرير , ليبيا , ص09

[2] جورج سارتون , تاريخ العلم , ج2 , ص 295

[3] جميل صليبا , تاريخ الفلسفة العربية , الشركة العالية للكتاب , 1989 , ص 23

فحسب , بل حولوه إلى حاجاتهم و طرق تفكيرهم الخاصة , ثم أضافوا إليه ما استطاعوا أن يستنبطوه , و تتجلى مآثرهم في الطب و الفلسفة , على وجه الخصوص , إلى جانب العلوم الأخرى من كيمياء و فلك و رياضيات و جغرافيا و غيرها من العلوم .[1] و لقد عرف ابن سينا الطب بقوله " إن الطب علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح و يزول عن الصحة , ليحفظ الصحة حاصلة , و يستردها زائلة " .[2]

إن عقيدة المسلمين تبنى على ان الله واحد , و هو الحقيقة , و أن الوصول إليه يكون عن طريق المعرفة و وسيلتها العلم , كما تبنى على أن الهدف من كل الأعمال هو مرضاة الله تعالى , و الطب من الاعمال الصالحة و أفعال الخير , لأنه يخفف من ألام البشر و أمراضهم , فالقلب جزء من الجسم , و مرضه يؤدي إلى مرض الجسد كله و حديث الرسول صلى الله عليه وسلم يثبت ذلك " ... ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله ألا و هي القلب ."[3] كما أن هناك حكمة في خلق كل مخلوق , و قد كان جالينوي يؤمن بهذه الفكرة بالرغم من انه كان وثنيا .

و لذا اعجب به المسلمون و لقبوه بالفاضل . و دراسة الطب عند المسلمين تزيد من الايمان لقوله تعالى " ضرب لكم مثلا من أنفسكم " [4]. و لذا يقول **ابن رشد '** من اشتغل بالتشريح ازداد ايمانا ' .[5] و على هذا الطب عند المسلمين مبني على قاعدة أخلاقية ايمانية بعظمة الخالق و المخلوق معا . لهذا حث الرسول صلى الله عليه و سلم , ففي سند الإمام أحمد من حديث زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك , قال كنت عند النبي صلى الله عليه و سلم , و جاءت الأعراب , فقالو : يا رسول الله , أنتداوى ؟ فقال نعم يا عباد الله , تداووا : فإن الله لم يضع داء , إلا

[1] رحاب عكاوي , موسوعة عباقرة الإسلام , ج2 , دار الفكر العربي , بيروت , لبنان , ط1 , 1993 ' ص 10

[2] ابن سينا , القانون في الطب . .ص2 to pdf : www. Al_mostafa.com.

[3] مسلم بن الحجاج القشيري , الجامع الصحيح , المكتبة العصرية , صيدا , بيروت , لبنان . ط1 .2004 , ص 602.

[4] القرآن الكريم , سورة الروم ,الاية28 .

[5] ابن ابي اصبيعة , عيون الأنباء في طبقات الأطباء , منشورات دار مكتبة الحياة , بيروت . لبنان .1965

وضع له شفاء , غير داء واحد . قالوا : ماهو ؟ قال : الهرم .[1] و قوله كذلك " العلم علمان علم الأديان و علم الأبدان " و علم الأبدان هنا هو الطب .[2]

فالطب لدى كثير من علماء الدين نذكر منهم الإمام **ابو حامد الغزالي** , هو من العلوم التي هي فرض كفاية محمودة , لأنه علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا , فهو ضروري في حاجة بقاء الابدان . فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء , و أرشد إلى استعماله و أعد الأسباب لتعاطيه , فلا يجوز في نظر أبو حامد الغزالي التعرض للهلاك بإهماله .[3] كما نذكر أن المسلمين تقبلوا النظرية البقراطية في الأخلاطو الأمزجة و علاقتها بالعناصر المكونة للكون .[4] من هؤلاء "**الرازي**" الذي درس الطب اليوناني دراسة وافية , إذ كان رأيه أن العلم النظري أساس الطب التطبيقي و يجب أن يسبقه , فهو يقول في كتابه الفصول (إن قليل المشاهدة المطلع على الكتب خير ممن لم يعرف الكتب على ألا يكون عديم المشاهدة) و يقول (من قرأ كتب أبقراط و لم يخدم خير ممن خدم و لم يقرأ كتب أبقراط).[5]

إن متتبع لتاريخ المدارس الطبية الأروبية في مونبلييه و **نابولي** و **بولونيا** و **باردوا** و **اكسفو** و **كمبردج** يدرك بوضوح أنها قامت أساسا على دراسة الكتب الطبية العربية المترجمة إلى اللاتينية , و ظل الأمر كذلكإلى حوالي القرن السادس عشر ميلادي . و في هذا دليل أخر على صلة الفلسفة الإسلامية الوثيقة بالعلم تغذيه و يغذيها و كان الفلاسفة المسلمون يعتبرون العلوم العقلية جزءا من الفلسفة , و بهذا يكونوا قد عالجوا مسائل في الطبيعة و مسائل في الميتافيزقبا , و الدليل على ذلك أكبر موسوعة فلسفية عربية , كتاب " **الشفاء**" و كتاب "**القانون** " **لابن سينا** الذي ظل يدرس في جامعتي **مونبليه** و **لوفان** إلى القرن السابع عشر ميلاديي و هذا إن دل على شيء فإنما يدل

[1] ابن قيم الجوزية . الطب النبوي , ج1 , دار الكتب , الجزائر . 1988م , ص26

[2] رحاب عكاوي , موسوعة عباقرة الإسلام , ج2 , ص12.

[3] أبو حامد الغزالي , احياء علوم الدين , ج1 , دار المعارف , بيروت , لبنان , 1983 م ص 16.

[4] سلمان قطاية . فلسفة الطب عند العرب و اليونان . htpp//www.isesco.org.ma/pub/arabic

[5] دراسة بإشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الامم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة (يونسكو) , أثر العرب و المسلمين في النهضة الاوروبية , الهيئة المصرية للتأليف و النشر , 1980 . ص280

على مدى غزارة عطاء أطباء الإسلام لأوروبا على مدى عدة قرون . و مشاركتهم في دفع عجلة التقدم للحضارة الإنسانية .[1] و فيما يلي رصد لأهم الأحداث الطبية في العصر الوسيط :

العصر الوسيط في حوض الأبيض المتوسط 476–1453

الطب	التاريخ	التاريخ	الحديث السياسي و الثقافي
الأطباء النسطوريون في فارس وباء		476	نهاية الإمبراطورية الرومانية الغربية
الطاعون في حوض الأبيض المتوسط		565-527	فترة حكم جوستنيان
الإسكندر من تراليس طبيبا	605-525		
جوستنيان			
و باء الجدري في فرنسا			
المستشفيات الأولى في ليون و باريس			
بول ديوجين			
مصلحات الجذام في أوروبا			
		622	عام الهجرة، محمد صلى الله عليه و سلم
			يغادر مكة إلى المدينة
		670-630	الدولةالأموية من فارس إلى تونس
		751	الكارولينية في الحكم
		751	استقلال إمارة قرطبة
		814-768	شارلمان إمبراطورا

[1] ابراهيم مدكور , في الفلسفة الإسلامية , ج2 , مكتبة الدراسات الفلسفية . ط2 , 1968 . ص160.

يو حنا بن موساوية	758-777	910	إنشاء مدرسة الفنون و الصناعة
أبو بكر الرازي	850-923	962	الإمبراطورية الرومانية الجرمانية القدسة
أبو القاسم الزهراوي في قرطبة		987	هوجو كاييه ملكا على فرنسا
ابن سينا في أصفهان	936-1012	نحو 1088	إنشاء جامعة بولونيا
القانون في الطب	980-1037	1099	استيلاء الصليبيين على القدس
مدرسة سالرنو		1120	إنشاء الكليرفو
قسطنطين الإفريقي في سالرنو	1015-1078		استيلاء الصليبين على القسطنطينية
ابن زهر	1073-1163	1204	معركة لاس نافاس دو نولوز و سقوط
أبن رشد في أشبيلية و قرطبة	1130-1198	1212	الأندلس في أيدي الكاثونيك
موسى بن ميمون	1135-1204		سقوط بغداد في أيدي القتار
ارنودو الطاعون في أوروبا	1240-1312	1258	نهاية الدولة اللاتينية في سوريا
جي دو شولياك طبيبا لبابا أفنيون		1291	بداية حرب المائة عام
(كتاب الجراحة الكبير)	1346	1339	
الإجراءات الأولى لمقاومة الطاعون في	1360		استيلاء الأتراك على القسطنطينية
راجوز [ميناء كرواتي قديم يعرف	1337	1405	و نهاية حرب المائة عام
حاليا بـ.ذبرفنك].			

[1]

[1] جان شارل سورنيا , تاريخ الطب , تر ابراهيم البجلاتي , عالم المعرفة الكويت , 2002 , ص114

2_ البيوإتيقا المعاصرة .

يبدو مما سبق ان التطور في مجال العلوم بصفة عامة . و في مجال البيولوجيا و الطب على الخصوص كان سريعا جدا و هذا يطرح تساؤل حول الاسباب التي جعلت منه كذلك ؟ ففي نظر الفيلسوف **جاك لاكان** (1901/1981) , يرجع هذا التطور العلمي السريع الى تأثير ميول و اهواء الانسان التي تعرضت الى الكبت و المعارضة و التنويم من طرف الاخلاقيين , و روضت من طرف المعلمين , و خونت من طرف الاكادميين تجد بعد كل ذلك الا ملجأ واحدا و هو الهوى و الفضول العلمي , محبة العلم و العرفة .

هذا ليس السبب الوحيد الذي ادى الى هذا التطور السريع للعلوم و تقنياتها , ذلك ان من بين الاسباب الاخرى , السباق نحو التقدم مع توفر الشروط كالمال مثلا . فبعد الحرب العالمية الثانية دخلت الدول حربا عالمية اخرى هي الحرب الاقتصادية , و كان لابد من توظيف رؤوس الاموال في الصناعة الحربية و المدنية , لا يتأتى هذا الا بتوظيف ملكة العلم و المعرفة , يتضح هذا اكثر في مجال الصناعة الصيدلانية مثلا اين كان الاستثمار اكثر .[1]

ما ان اتضح في النصف الأول من سبعينات القرن الماضي ,و بعد أن أجريت التجارب الأولى في الهندسة الجينية , أنه بالإمكان استعمال ADN المأشوب في الحصول على كميات كبيرة من بروتينات دوائية مهمة إنما نادرة (كالإنترفرون ,و هرمون النمو , و الأنسولين البشري ..الخ)حتى اكتشف البيولوجيون الجزيئيون , أن بإمكانهم أن يصبحوا أثرياء , بعد طول حياة كلها تقشف و زهد ,و سارع في الوقت نفسه أصحاب رؤوس الأموال إلى لقاء

[1] Lucien sève . pour une critique de la raison bioéthique . in . les question dargent . édition odile jacob . 1994 .p.p .324/325

*الحوامض النووية هي الرسل النهائية لبرنامج صنع كائن بشري و أهمها حمض التحويل النووي المدعو بإختصار ADN . acide dexoxyribonueleique.

د .ن _ باشراف سمير عازار . الموسوعة العلمية الشاملة , نوبيليس , المجاد 7 , المركز سنتر نوبيليس , 2004/2003. ص32 .

** نشاط علمي يهدف إلى تفسير عقلاني لخصائص الكائنات الحية , من خلال البنية و المميزات الخاصة للجزيئات البيولوجية.

منفذي التجارب الأولى في الهندسة الجينية , لصياغة مشاريع إنشاء الشركات الدوائية ,و لإبرام صفقات العمر و سرعان ما تحولت الأبحاث البيولوجية إلى مشاريع جزيئية .[1]

ان البيولوجيا المعاصرة باكتشافتها المتميزة و الباهرة طرحت قضايا ابستمولوجية اكثر خصوبة و حدة , ارتبطت اساسا بالكتشافات العلمية البيولوجية المعاصرة و المتعلقة باكتشاف مكونات و طريقة عمل الجينوم البشري الذي فتح الباب امام مسائل نظرية قابلة للتطبيق , كإمكانية عملية الاستنساخ و قضايا الإخصاب الصناعي و إنشاء بنوك خاصة بالأجنة أو بالحيوانات المنوية . " فلقد أدى اكتشاف بنية A.D.N * في القرن العشرين إلى إحداث تحول في تاريخ البيولوجيا , فهو مولد لصناعة جديدة و هي البيولوجيا الجزيئية .biologie moléculaire **.

و هذا بدون اختفاء للمشاكل الابستمولوجية التي طرحت من قبل و المتعلقة بالمنهج و التجريب على الكائنات الحية , اذ انه مع زيادة و تطور البحوث البيولوجية أصبح الحديث جاريا و متواصلا عن فئران التجارب و عن توظيف المال لإجراء التجارب على الانسان و الحيوان .

و من هنا تهتم ابستمولوجيا البيولوجيا المعاصرة أكثر بالتساؤلات المتعلقة بالطابع الأخلاقي للممارسات البيولوجية , و بحدود البيولوجيا و بالمعايير الواجب اتخاذها كمرشد و قائد في عملية البحث و الاكتشاف .

و طرحت عدة تساؤلات ابستمولوجية من نوع " هل بإمكاننا أن نجري تجارب الطب و البيولوجيا على الاشخاص بدون إذنهم و خاصة عندما تصبح التجارب على الحيوانات غير كافية لتحقيق أهداف الطب و العلاجو البحث العلمي في ميادين علوم الحياة ؟ .. و ماهي الكوارث التي يمكن أن يقود إليها انتقاء جنس الأجنة ؟

و ماهي حقوق الاجنة التي يلزم احترامها في إطار ما يجري عليها من تجارب علمية ؟ و هل من المقبول انتقاء أجنة خالية من العيوب الوراثية ؟ بفضل ما يتيحه التشخيص الوراثي الذي يسبق زرع الجنين في الرحم ..."[2]

[1] هاني خليل رزق , الجينوم البشري و أخلاقياته ,دارالفكر , دمشق , 2007. ص451.

[2] عمر بوفتاس . البيواتيقا _الاخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنلوجيا . افريقيا الشرق . المغرب .2011. ص06

و هذا ما اتفق على تسميته بكلمة "**البيوتيقا**" **biothique** , و هي كلمة حديثة ظهرت في سنة 1970 في الولايات المتحدة الامريكية و تعبر عن تساؤلات و انتقادات للتطورات المتعلقة بالتقنيات البيوطبية biomédicales[1] . و يعتبر العالم البيولوجي الامريكي المتخصص في امراض السرطان " فان بوتر رينسلاير van potter renslayer (1911/2001) اول من استعمل هذه الكلمة في مقال له بعنوان " bioethics the science of survival " (البيوتيقا , علم البقاء على قيد الحياة) صدر في العدد 14 من الدورة الامريكية " perspective in biology and medcine" , ثم اعاد نشره كفصل في كتابه الذي صدر عام 1971 تحت عنوان " bioethics : bridge to the futur "[2]

و سبب اقتحام **فان بوتر** له ذا المجال هو قناعته بأن الفكر الأخلاقي الكلاسيكي لم يساير التطورات التي حصلت في البيولوجيا , و اتساع الهوة بين الثقافة العلمية و التكنلوجية المعاصرة و الثقافة الاخلاقية الانسانية الكلاسيكية , و البيواتيقا بهذا المعنى الذي تحمله محاولة ل جبر هذا الصدع الذي مس تماسك المعرفة بشكل عام .[3]

و في اطار هذا الهدف العام الذي نادى به **بوتر** , طالب هذا العالم " بإعداد حقل دراسي سريع , و وسط ملائم لهذا البحث لتطبيق هذا الفكر الاخلاقي الجديد بحيث يعطي مجالات و أنشطة متعددة على راسها " تنظيم النسل " و "تحقيق السلم " و "محاربة الفقر " و " الحفاظ على البيئة " و " حماية الحياة الحيوانية " و " الدفاع عن سعادة الافراد " و كنتيجة لكل ذلك ضمتب بقاء الانسانية على قيد الحياة و استمرار الكوكب الارضي في الوجود[4].و من هنا كانت فكرة البيوتيقا بمثابة نظرة اخلاقية و فكرية تحاول النظر في السيل الجارف القوي الذي كان العلم قذ اصبح يشكله .

---

[1] Voir , dictionnaire d ethique et de philosophie ; sous la direction de monique canto_spenber ; puf , 1ere édit , 1996,p156.

[2] عمر بوفتاس . البيواتيقا . مرجع سابق . ص 14 .

[3] انظر . المرجع نفسه . ص 14.

[4] الرجع السابق . ص 15

و التطورات التقنية للممراسات الطبية هي بالتأكيد محصلة الإكتشافات البيولوجية المتجددة و خاصة ميدان البيولوجيا الجزيئية , يقول D.G lygre في كتابه التحكم في الحياة و هو قول مأخوذ من كتاب الهندسة الوراثية و الاخلاق **للبقصمي** : ' يوجدفي الحياة من الاسرار و العجائب ما يثير رهبتنا و يشعرنا بالتواضع . و يبدو من المستحيل ان نفهم كل هذه الاسرار , و مع ذلك كلما توصلنا إلى معرفة الية من اليات الحياة اختفت بعض اسرارها , فقد كشفنا ان المادة الحية تخضع لنفس القوانين التي تخضع لها المادة الجامدة , في اللحظة التي سيطرنا فيها على العالم الفزيائي و تم إخضاعه للحتمية تعلمنا كيف نتحكم في عالمنا البيولوجي , فمثلا صنعنا أطفال الأنابيبو غيرنا في تركيبنا الوراثي , و إخترعنا أعضاء صناعية لأجسادنا , و حولنا عقولنا , و اطلنا اعمارنا . و ربما نكتشف اننا نستطيع تخليق الحياة نفسهالن تغير الثورة البيولوجية ذواتنا الفيزيولوجية فحسب بل تستطيع تغيير طريقة تفكيرنا في انفسنا و في الاخرين '[1]

هذا القول هو دلالة واضحة عن المخاوف المتولدة مما قد تفرزه الثورة البيولوجية من اخطار على الكائن الحي و على الاخص ا لانسان . و لاشك أن الدافع إلى هذا هو شعور الإنسان من جهة . بكفائته و قدراته المتمثلة في التجارب التي يجريها باستمرار على الإنسان و على الكائنات الحية الاخرى , ان التجارب الكثيرة في المجال البيولوجي و الطبي . تبث الرعب لدى الانسان مما دفعه إلى التساؤل عن مدى خطورتها , و بالتالي التساؤل عن مصيره و عن القيمة الاخلاقية لهذه التجارب . و هو من دون شك مهمة من المهام التي تضطلع بها الفلسفة اليوم في إطار ما يسمى بالبيوإتيقا la bioéthique.

بعد ذلك اصبح معنى البيوتيقا ينحصر شيئا فشيئا في المسائل و القضايا التي يثيرها تقدم علم الحياة و تطبيقاته الطبية , و من بين الباحثين الذين ساهموا في هذا الحصر للمعنى نجد بالخصوص " **اندري هيلغرز**" André Hellegers (1979/1926) الذي اسس "مؤسسة كينيدي للأخلاقيات" ,

[1] ناهد البقصمي , الهندسة الوراثية و الاخلاق , ص61.

ذلك لأن هيلغرز نازع بوتر في السبق لإستعمال المصطلح لأول مرة . و هنا يؤكد أغلب الباحثين سبق بوتر إلى استعمال الكلمة لأول مرة و على استعمالها كذاك من طرف هيلغرز و لكن بالمعنى الضيق الذي يخص إفرازات البيولوجيا و الممارسة الطبية .[1]

و في إطار توضيح المعنى الذي اصبحت تعنيه البيواتيقا بالمعنى المتخصص تعرض " **جاكلين روس** " مجموعة من التعاريف مثل :

_ بيير دي شامب P .Des Champs (حقوقي) : الأخلاق الحياتية هي العلم المعياري للسلوك الإنساني الذي يمكن قبوله هي مجال الحياة و الموت .

- دافيد روي D. Roy : الأخلاق الحياتية هي دراسة تداخل جملة الشروط التي تقتضيها إدارة مسؤولة للحياة الإنسانية او الشخص الإنساني في إطار صنوف التقدم السريعة و المعقدة للمعرفة و التقنيات الحيوية و الطبية.
- غي دوران : الأخلاق الحياتية هي البحث عن جملة المطالب لإحترام الحياة الانسانية و الشخص و تقدمها في القطاع الحيوي _الطبي .

من جهة منظور :و تعلق "روس" بالقول انه " من البديهي ان تحيلنا هذه العينات على منظور و مضاعف علمي حريص على النجوع و من جهة اخرى , منظور يدور على المناقشة الأخلاقية النظرية و على المسؤولية و القيم "[2]. اي ان هناك توجهين مختلفين في النظر الى طبيعة البيواتيقا , الاول علمي و الثاني فلسفي .

على ان اخلاقيات الطب لم تولد من رحم اخلاقيات البيولوجيا بل كانت موجودة منذ القدم , اي منذ ما قدمه في القرن الخامس قبل الميلاد **ابوقراط** hippocrate في هذا المجال , مثل وجوب توفر الثقة بين الطبيب و المريض و خدمة المريض مهما كان اصله و عرقه و حفظ السر , و كذلك بعض المبادئ مثل لا تجعل المريض مهموما , منع الإجهاض و السماح بموت المريض "euthanasie" و العديد من المبادئ و القوانين الطبية التي

[1] انظر:المرجع السابق , ص 15

[2] جاكلين روس , الفكر الاخلاقي المعاصر ' تر عادل العوا . المرجع السابق , ص 111.

ترسخت بمرور الوقت في جمعيات طبية و في قانون اخلاقيات الطب , و لكن التجاوزات حصلت سواء ما تعلق منها بالتجارب البيولوجية او الطبية و طرحت أكثر من تساؤل اخلاقي , و لعل من أشنع هذه التجاوزات تواطؤ الاطباء النازيين مع السلطة خلال الحرب العالمية الثانتية , و التي استدعت بشدة فكرة البيوتيقا .[1] و لهذا من أهم الحقوق التي يمكن أن يهددها التقدم العلمي في مجال تطبيقات الأخلاقيات الحيوية بالخطر هي الحق في احترام الكرامة البشرية , و الحق في الحياة , و الحق في الحرية الفردية , و الحق في حماية الجنس البشري . و لكن الحق في احترام الكرامة البشرية يحتل مكانة بارزة في مجال الأخلاقيات الحيوية , و يعد هذا الحق مبدأ اساسيا من مبادئ القانون الوضعي , الذي عرف نجاحا كبيرا بعد الحرب العالمية الثانية التي انتهت بهزيمة النظام النازي.[2]

لقد تأسست " اللجنة الإستشارية القومية لأخلاقيات البيولوجيا " و تم إنشائها بطلب من الرئيس الامريكي "**بيل كلينتون** " و ترأسها هارلد شابيرو harold shapiro , و هو استاذ و رئيس جامعة "**برينستون** " , و ضمت أعضاء أكاديميين متخصصين في الطب و الفلسفة و القانون و الصحة العامة و ممثلين عن الحكومة و المؤسسات الخاصة و مسؤول الاعمال الرئيسي لشركة دوائية , و كان الرئيس نفسه هو من طلب من اللجنة أن تعد تقرير مفصلا عن القضايا الأخلاقية و القانونية التي يمكن ان تثيرها عملية الاستنساخ و ذلك بعد يوم واحد فقط من إعلان 23 فبراير 1997 و الذي مفاده ان نعجة متطابقة وراثيا قد جاءت عن طريق الاستنساخ .[3]

فمن الناحية الابستمولوجية يكون من الواجب طرح الأسئلة المتعلقة بأخلاقية الاستنساخ الذي يتم بين خلايا جسدية , و كذلك تقنية أطفال الانابيب و ولادة جنين من ام معلومة و اب مجهول الهوية من خلال اللجوء إلى بنك الحيوانات المنوية , و عمليات الإجهاض التي تحدث لأجنة تظهر عليهم البعض او الكثير من التشوهات

[1] Voir , dictionnaire dethique et de philosophie , sous la direction de monique canto _ spenber , ibid , p157.

[2] فواز صالح ,مبدأ احترام الكرامة الإنسانية في مجال الأخلاقيات الحيوية , دراسة قانونية مقارنة , مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية و القانونية , المجلد27 , العدد الأول .جامعة دمشق , 2011.ص249

[33] انظر : ريتشارد ليونتين , حلم الجينوم و اوهام اخرى . تر احمد مستجير , فاطمة نصر , المنظمة العربية للترجمة , بيروت , لبنان , ط1 . 2003 , ص .ص . 253/254.

الخلقية من خلال ما توفره تقنية "الكشف ما قبل الولادة " , و تأجير الارحام لنساء لاتقدرن على الإنجاب و لأسباب مرضية , و الموت الرحيم و العديد من المسائل الأخرى المتعلقة بالأسلحة البيولوجية و الكيمياوية إذ ان " حروب الفيرسات و البكتيريات الموجهة للخصوم على شكل اتقائي و وراثي و عنصري لا تستبعد المغامرين عن خوضها , كما أن المعالجات الجينية المستقبلية بتوفير أدوية تتوافق مع مجين الفرد لازالت تحوم حولها كثير من الشكوك من ان تصبح تلك الادوية أو حتى الاغذية المعدلة وراثيا موجهة و تصبح أدوات إبادة شاملة و أسلحة فتاكة تقتل المغفلين عن معرفة مدى تطورات وسائل الحرب البيولوجية المستقبلية و استخداماتها ."[1]

إذن حقل خصب من الدراسة النقدية يقع على كاهل الفلاسفة و الابستمولوجيين يعلق عليه " **دومينيك لوكور** " بقوله : " لم تثر الفلسفة أبدا منذ نصف قرن من الزمان , مثلما تثير من اهتمام اليوم , فنحن نرى أطباء و حقوقيين يلتفون حولها لمحاولة توضيح المسائل المتعلقة بالأدبيات و الأخلاقيات و السياسة التي طرحتها " الهندسة الوراثية " و الفيزيائيون _ الفلكيون و الكيميائيون _ البيولوجيون , بإعادة اكتشافهم لمشكلات تهم الأصل (أصل الكون , أصل الحياة) يدركون أصلها و مداها الفلسفيين ..." .[2]

[1] عبد الكاظم العبودي , أخلاقيات البحث العلمي (البيولوجيا و أسلحة الدمار الشامل نموذجين) , مرجع سابق , ص112.

[2] دومينيك لوكور , فيما تفيد الفلسفة إذن ؟ , تر محمد هشام , إفريقيا الشرق , الدارالبيضاء , المغرب , د .ط , 2001 , ص 09 .

بعدما كانت البيولوجيا في بدايتها تطرح قضايا ابستمولوجية متعلقة بتشريح عضوية الإنسان و تطبيق النظرة السببية للعلم في التفسير , بسبب القدسية و الرمزية التي كان ينظر بها إلى الإنسان و التي ساهمت في تأخر الدراسات و البحث فهم عضوية الإنسان , أصبح الحديث اليوم عن تغيير في طريقة عمل الجسم من خلا اكتشافات و تقنيات جديدة طرقت مواضيع جد حساسة من الجانب الأخلاقي مهد لظهور البيوإتيقا كميدان فلسفي يهدف إلى مساءلة شاملة , عميقة و جذرية يعمل على نشر الوعي بين البيولوجيين حول قدسية الحياة و الإنسان و هو ميدان البوإتيقا, و ممن قدموا هذه المساءلة وهذا الطرح هو "فرانسوا داغوني" , و هو ما يأتي في سياق الفصل القادم , فمن هو؟ ماهي معالم فلسفته؟ و ماهي الرؤية الإبستمولوجية و البيوإتيقية لديه حول الكائن الحي ؟

الفصل الثاني: بين الفلسفة و البيوإتيقا عند" فرانسوا داغوني"

المبحث الأول : من هو فرانسوا "داغوني" و ماهي فلسفته ؟

المبحث الثاني : إبستمولوجيا الطب عند "داغوني" .

المبحث الثالث : البيوإتيقا عند فرانسوا داغوني.

من خلال هذا الفصل نتعرف على أحد أهم الإبستمولوجيين في الوقت الراهن الذي يطرح نظره الفكري في أحد أهم ميادين الطرح الفلسفي المعاصر و هو ميدان فلسفة العلم , و لأن ذروة العلم في الطب التطبيقي , حيث يلتقي الإنسان ببعدين أساسين , بعد مادي و بعد روحي , فقد كان جوهر الإبستمولوجيا عند داغوني هو فلسفة الطب , أو بشكل أكثر دقة , أخلاقيات الطب أي البيوإتيقا. فمن هو فرانسوا داغوني ؟ كيف قدم فلسفته ؟ ماهي معالم إبستمولوجيا الطب عنده ؟و ماذا تعني البيوإتيقا و ماهي أهميتها في نظر داغوني ؟

المبحث الاول : الفلسفة عند " فرانسوا داغوني " .

1_ من هو فرانسوا داغوني ؟

لفظ الفلسفة مشتق من اليونانية و أصله (فيلا– صوفيا) , و معناه محبة الحكمة . و يطلق على العلم بحقائق الاشياء , و العمل بما هو اصلح و البحث عن الاسباب القصوى و المبادئ الاولى .[1*]

لقد سبق لكل من **افلاطون** و **ارسطو** ان طرحوا السؤال حول اصل الفلسفة و برايهما ان ذلك يتمثل في الدهشة " لقذ اتاحت الدهشة للانسان قديما كما حديثا ان يتفلسف ...و الذي يدهش و يسال انما يشعر بالجهل .. حتى يتحاشى الانسان الجهل بدا بالتفلسف ..." **ارسطو** .[2] و مع كل هذا ,لا تحظى الفلسفة بالسمعة الطيبة في كل مكان , فيقال عنها انها غامضة بسبب لغتها المغلقة , كما انها توصم بانها نوع من العبث لان الفلاسفة على عكس العلماء لا يتفقون فيما بينهم و لانه ما من نتيجة يصل اليها احدهم الا وضعت البحث من جديد و نظرياتهم يضاد بعضها بعضا و لان الخصوم في هذه الحرب التي لا تنتهي يرددون نفس الحجج دون جدوى و دون ملل . و هذا ليس بالجديد فمنذ البداية كان اهل اثينا يسخرون من سقراط الذي يحاور الشبان و اتهم بانه يصرفهم عن الامور الجدية و يشحن عقولهم بالتفاهات و يجعلهم مواطنين غير نافعين .[3]

اما اليوم فمسار الفلسفة تغير بشكل عظيم , و اصبحت اهميتها من اهمية العلم وحتى انها اصبحت عبارة عن تفكير في العلم بما انا العلم لا يفكر في ذاته كما يقول **هايدغر** .[4] و تطور مفهوم الفلسفة وتغيرت ماهيتها في

---

[1] جميل صليبا ', المعجم الفلسفي , الجزء الأول , دار الكتاب اللبناني ,بيروت , لبنان ,1982م.ص160.

[2] اطلس الفلسفة , dtv, ص11

[3] اميبل بريبه , اتجهات الفلسفة المعاصرة ,تر: محمود قاسم . دار الكشاف للنشر و الطباعة و التوزيع , جامعة الاسكندرية .ص17.ص18.

[4] يمنى طريف الخولي , فلسفة العلم في القرن العشرون , ص19

[*] لمحة تاريخية كان سقراط يصف نفسه بصفة الفيلسوف و كانت الكلمة تعني عنده صديق الحكمة بالمعنى الاخلاقي لان الكلمة مالوفة عند افلاطون و لها معنى اوسع بكثير اما لان افلاطون نفسه كان قد وسعها و اما لانه اخذ هاذا المعنى الواسع عن المدرسة الفيتاغورية طبقا لحديث هراقليد دو بون . انظر قاموس لالند الفلسفي ص978 .

هذا السياق . و كذا كان مفهوم الفلسفة بالنسبة للفيلسوف فرانسوا داغوني و قبل التعرف على ماهية الفلسفة عنده كان لابد اخذ نبذة عن حياته .

كان "فرانسوا داغوني" في الواقع عقل مفتوح على جميع انواع المعارف ، طبيب ومؤرخ العلوم الرئيسية ، و لابد لتقديمه و التعريف به . ذلك انه في جميع مجالات العقل، سياسيا او قانونيا ، أو علميا، و حتى في الفن ، تلون فكر الفيلسوف بشكل غير اعتيادي . من خلال مظهره العظيم ، يعتبر وريث من الطوباويين من القرن التاسع عشر. [1]

ولد في لانجرس في 24 افريل 1924 في مسقط رأس ديدرو و توفي يوم الجمعة 2 أكتوبر 2015 في باريس، عن عمر يناهز ال 91.، ساهم فرانسوا داغوني بذوق رفيع تصوير الاشياء العالمية , في الفن المعاصر الكيمياء العضوية بالاضافة الى علم النفس الاعصاب ، قام الفيلسوف ببناء الرؤية الأصلية للفلسفة و العلم معا على قناعة بأن "أصغر حصاة هو ثروة من البيانات لانهائية." "هناك فقدان الشهية الفكري لدى بعض الفلاسفة، " هكذا عبر عن أسفه " فرانسوا داغوني " في مقابلة أجريت معه في عام 2013. وقد بنى صرح المفاهيمي فلسفي علمي انتقائي فخم .

لقد اشتغل أستاذ فلسفة، و تحصل على شهادة دكتوراه في الطب، كما انه مؤرخ للعلوم، وكان التلميذ المباشر لعدد من الفلاسفة امثال **سان سيمون** (1760-1825)، و أيضا **رينيه لينيك** (1781-1826)، مكتشف سماعة الطبيب. [2]

كان فرانسوا داغوني Dagognet François عقلاني ، مثل صديقه ومعلمه، الفيلسوف **غاستون باشلار** (1884-1962)، و لقد صرح بحسن حظه للقائه به , "كان لي حياة مضطربة جدا، بدأت دراستي في

[1] www.mariane.net/philippepetet/disparation-françois - dagognet-100237150.html.

[2] Philosophie magazine .www.philomag.com/lactu/breves/françois-dagognet_mort d un matiriologue_12472.par cedric enjalbert.

خمسة عشر. لم أذهب أبدا إلى المدرسة الثانوية. ينتمي والدي لعائلة متواضعة جدا، و لا لم يعرفوا ما ادرس. لحسن الحظ عاش غاستون باشلار ستة كيلومترات من انجرس في نفس القرية ", و هو الذي سيوجه في العاصمة بعد مروره البكالوريا له في المدرسة سانت فرانسوا دي ديجون حيث اكتشف الفلسفة.

وهو مؤلف لاكثر من ستين كتابا يجمع كل التخصصات والفنون والحرف إلى الطب الحيوي، المعادن و القانون. فقد أسس مادية أوسع تطمح إلى رفع ماهو غامض و جعل ماهو باطن يطفو الى السطح ، وفقا لتعبير المؤرخ وفيلسوف العلم "**جورج– كانغيلام**" . [1]

لقد قام بدراسة مؤلفاتهم وهو يقوم بعمله في نظرية المعرفة. و بعد أطروحة مخصصة لدراسة **سبينوزا**، قال انه يسرع إلى "استعادة ملء الواقع" و نال بعدها شهادة الدكتوراه في الطب عام 1958. وأصبح طبيب النفس و الأعصاب للسجناء في "ليون" , في حين أنه يواصل التدريس الفلسفة في الجامعة.[2].

في جامعة ليون ، ثم في جامعة السوربون، أثناء رئاسته ، سنوات طويلة، لجنة التحكيم للفلسفة. وقد أدى للتدريب الفلسفي والعلمي المزدوج منطقيا إلى الابستيمولوجيا و بالتحديد ايبستيمولوجيا طب وعلم الأحياء ويركز، بطريقة فريدة على تصنيفات الخصوبة و مواضيع لم تثر انتباه احد قبله . تناول فرانسوا داغوني مواضيع كثيرة جدا للدراسة ,. اكثر من خمسين مجلدا – نشرت بشكل رئيسي من قبل المطابع الجامعية دو فرانس، في المكتبة الفلسفية في التكنولوجيا والعلوم والصناعة، الأخلاق وعلم الجمال، والقانون، والسياسة، والاقتصاد، وبالطبع المجال الميتافيزيقي ... فلا يبدو أي ميدان فلسفي غريب عنه ,لهذا جعل الفيلسوف "المسافر الذي يهتم المشهد بأكمله. " –كما أوضح فرانسوا Dagnoget في مقابلة نشرت في صحيفة لوموند في عام 1993: "عالم الأشياء، الضخم ، المكشوف للعقل اكثر من العقل نفسه . لنعرف ما نحن ، فليس بالضرورة ان نوجه النظر لانفسنا . الفلاسفة عبر

[1] www.mariane.net/philippepetet/disparation-françois - dagognet-100237150.html.

[2] Philosophie magazine .www.philomag.com/lactu/breves/françois-dagognet_mort d un matiriologue_12472.par cedric enjalbert.

التاريخ، حاصرتهم الذاتية ، دون فهم أنه في الأشياء يعطي العقل أفضل عرض. لذا يجب علينا أن نجعل ثورة حقيقية، نؤكد من خلالها ان الروح اقرب للاشياء من العقل ".[1]

بعض مؤلفاته :

علوم الحياة والثقافة: نصوص مختارة،_الفلسفة البيولوجية.السبب والعلاج: مقال حول المتخيل والحقيقي في العلاجية المعاصرة._ غاستون باشلار: حياته، وعمله، مع بيان فلسفته._ طرق والمذهب في عمل باستور._ الجداول واللغات والكيمياء._فهرس من الحياة: دراسة منهجية على التصنيف. _الثورة الخضراء: التاريخ ومبادئ الهندسة الزراعية_الكتابة والايقونية. لنظرية عامة من الأشكال نظرية المعرفة من الفضاء ملموسة: النيو الجغرافي _اذاكرة للمستقبل: فلسفة الصورة. _التمكن من الحياة: _الأحياء._ الطبيعة._في الفن اليوم: وجوه الفن للفن من وجوه._ القلعة الدماغ._ تأملات في التدبير._ في صالح الفن اليوم: _هذا الاضطراب..._اختراع عالمنا: صناعة، لماذا وكيف؟ _لفلسفة المرض،_ مقابلة مع فيليب بوتي._ كانغيلام ،_ فلسفة الحياة._التطور التكنولوجي وفكرة التقدم_ثلاث فلسفات النظر: سان سيمون، برودون، فوريه. _القمامة والنفايات، ومذلة: فلسفة بيئية._المعرفة والسلطة في الطب..._والأخلاق جديد: العمل والأسرة والأمة._أدوات التفكير: نظرية المعرفة._الموت ينظر إلى غير ذلك. _الاعتبارات على فكرة الطبيعة (مع مسألة البيئة التي كتبها كانغيلام)..._كيفية إنقاذ أنفسهم من العبودية؟ _ 100 كلمة لبدء التفلسف._الأسئلة المحرمة. [2]

[1] Le monde .fr. mort du philosophe françois dagognet.par Roger – pol droit /04/10/2015/

[2] 2017_01_25https: // fr . wikipedia .org ./ wiki / françois _ dagognet /.19/45 /

2 _التقسيم التاريخي و وظيفة الفكر الفلسفي عند "داغوني" :

إن الابستملوجيا كما يقول " **جان دومبريه**" تقدم العون **الا**ساسي في التعريف الحقيقي لنشاط تاريخ العلم , و تاريخ العلم بدوره ليس ليس مجرد ذاكرة العلم , بل هو مختبره الابستميلوجي . او كما قال " امري لاكاتوش " فيلسوف العلم البارز بعبارته النافذة التي كانت قوية التاثير حقا : "فلسفة العلم من دون تاريخه خواء , و تاريخ العلم من دون فلسفته عماء ," [1] و لم يكن فرانسوا داغوني بغافل عن هذه المبادئ .

في كتابه "**الفلاسفة الكبار و فلسفتهم تاريخ متقلب و شرس**" يعرض الفيلسوف داغوني مقاربة خاصة بتاريخ الفلسفة و ذلك من خلال تناول عشرين فيلسوفا , و جوهر فلسفتهم , مصحوبة بنظرة نقدية لاذعة للمساعي المألوفة و لمناهج التفكير في هذا المجال , اي تاريخ الفلسفة , و لا يخفي تحفظه اتجاه تاريخ الفلسفة و نظرته النقدية لكل محاولة ترمي الى تجميع الأعمال أو الاهتمام بتحديث التفكير القديم , في هذا الصدد يقول : "علينا أن نحذر و نحتاط من التاريخ الذي يحاول إظهار الفلسفات بمظهر جديد و ادراك مجمل ماهو حديث في اطار ماهو قديم مجدد . قراءة مثل هذه لا يمكن ان تكون الا مضللة , فهي لا تدلنا لا على الحاضر و لا على الماضي ".

و بالتالي يفضل الفلسفة النقية الصافية الذي لا يحتفظ الا بماهو اساسي و يمثل قطيعة هامة و ضرورية [2].

و هو بهذا يشبه في موقفه موقف استاذه و صديقه **غاستون باشلار** الذي يرى ضرورة طرح المسالة العلمية عن طريق (العقبة المعلوماتية الابستمولوجية) و يقدم في كتابه تكوين العقل العلمي , خمسة عقبات بنبغي على الابستمولوجي تخطيها [3]

[1] يمنى طريف الخولي , فلسفة العلم في القرن العشرين و ص 19

[2] مجموعة من الأكاديميين العرب , الفلسفة الغربية المعاصرة , إشراف علي عبود المحمداوي , الجزء الثاني ,ط منشورات ضفاف . منشورات الإختلاف , دار الأمان , الرباط .2013, ص1435

[3] غاستون باشلار, تكوين العقل العلمي, تر : خليل أحمد خليل , الطبعة 1 , المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع , 1981مص13

يقترح علينا الفيلسوف داغوني في اول الامر تقطيع تاريخ الفلسفة الى ثلاث مراحل واضحة : القدامى : افلاطون , ارسطو , الابيقوريين , الرواقيين. المدرسيين : ابتاءا من ديكارت الى كانط . المعاصرين : ابتداءا من هيغل الى سارتر .

المرحلة الاولى تضترك في اجلال الطبيعة و يعارض داغوني عذا الطرح لانه من دعاة تسخير الطبيعة للانسان و ليس العكس . اما المرحلة الثانية تقوم على القول بالثنائية .[1] فمثلا ديكارت يفرق بين النفس و البدن , و يتضح ذلك من خلال المبدا الاول لفلسفته " انا افكر اذا انا موجود " حسب قوله " ان الانية هي النفس " التي انا بها , هي متمابزة تمام التمايز عن الجسم " .[2]. و لقد قام الفيلسوف بنقد هذا التصور الثنائي , و وضع تصوره الجديد للفلسفة الذي يقوم على التصور الواحدي أو الاحدية le monisme [3] . يقال عن كل نسق فلسفي يعتبر مجمل الأشياء كأنها قابلة للخفض إلى الوحدة سواء من حيث جوهرها أم من حيث قوانينها (المنطقية و الطبيعية) , و هي كلمة من ابتكار **وولف** wolf christian von , و الذي طبقها على المذهب الانطلوجي الذي يرجع الاشياء كلها إلى المادة والى الروح .

اما المعنى من الزاوية العلمية , الفلسفية و الأخلاقية معا , نجده في مذهب الفيلسوف الألماني **هايكل** Haeckel Ernst الذي اشتغل بالفلسفة العلمية , الذي وضع الواحدية كمذهب علمي مؤسس على قانون حفظ الطاقة , و قد اختصر الواحدية في النقاط التالية " وحدة العالم , بلا نقيض بين الروح و المادة ماهية الله و العالم الذي لم يخلق , بل تطور وفقا لقوانين أزلية , نفي قوة حيوية مستقلة عن القوى الفيزيائية و الكيميائية , فناء

[1] المرجع نفسه .ص 620.

[2] رنيه ديكارت . مقالة عن المنهج .تر : محمود محمد الخضيري , الطبعة 3 , مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب , مصر , 1985م ص 218.

[3] Robert maggiori .Aquai sert la philosophie htt//www.bpi.fr.rubrique.25.05.2006 r18

النفس رفض التعارض المقام من قبل المسيحية بين غايات الجسم و غايات الروح فخامة الطبيعة ; العقلانية الدين العلم و الخير و الجمال " .[1]

اما **المرحلة القديمة** بالنسبة للفيلسوف داغوني فهي تمثل العاصفة الاولى و تبدا مع افلاطون الذي عمل على عزل الفكرة او المثال , و المثال هو الشيئ بالذات و الجسم شبح المثال , و المثال نموذج الجسم او مثله الاعلى متحققة فيه كمالات النوع الى اقصى حد , ان المثل هي مبادئ المعرفة فالنفس لو لم تكن حاصلة عليها لما عرفت كيف تسمى الاشياء و تحكم عليها . المثل معاييرنا الدائمة يحصل لنا العلم اولا و بالذات بحصول صورها في العقل , فهي الموضوع الحقيقي للعلم , و علة حكمنا على النسبي بالمطلق و على الناقص بالكامل و على التغير بالوجود[2] . ونجد داغوني يؤكد على اهمية ارسطو و فلسفته المضادة للافلاطونية من خلال كتابه مابعد الطبيعة و التدليل على الواقع من خلال قوله بالمادة و الصور و التي يعتبرها ردا من ارسطو على افلاطون.[3] فارسطو يرى ان منهج القسمة الافلاطوني عشوائي فالتقسيم الثناصي لا يخضع لمبدا عقلي محدد لانه يضع الوسائط التي تجعلنا ننتقل من جزء الى اخر و من ثنائية الى اخرى عندما نميز في الجنس الواحد انواعا مختلفة , اي عندما نميز في المفهوم الواحد عنصرين مختلفين فارسطو يعيب على افلاطون عدم الوصول تاى المفهوم و التشبث بالفكرة لا بالمفهوم .[4]

و تظهر الرغبة اكثر في الغاء النظرة الافلاطونية الثنائية لدى السفسطائين ثم الابيقوريين الذين انهوا المهمة بنظرتهم الحسية في مجال المعرفة و النفعية في مجال الاخلاق و هو جمع بين الحسي و المادي , الى درجة يكون الروحي فيها مبعدا تماما عن مجال الفلسفة لان كل شيئ مادي و بهذا تنتهي الفلسفة القديمة و يعتقد داغوني اهمية الفلسفة في تميز الافكار [5]. فتاريخ المذاهب الفلسفية لا يكون له معنى الا في اطار المنافسة و الخصومة و الصراع فهو ليس

[1] اندري لالند , الموسوعة الفلسفية .مرجع سابق ,ص 833.

[2] يوسف كرم '. تاريخ الفلسفة اليونانية , دار القلم , بيروت , لبنان , ص90ص89 بتصرف.

[3] Ibid r18.

[4] عبد القادر تومي , اعلام الفلسفة الغربية .ص 67.

[5] Ibid p18.

هيكلا او معبدا او حتى ورشة عمل , و لكنه ميدان حرب . رغم التقاءها في نقطة واحدة و هي في نظر داغوني اجلال الطبيعة ورغم انه من دعاة تسخير الطبيعة للانسان وليس العكس [1].. ويقول في هذا الخصوص " ان اخضاع و تطويع الانسان للطبيعة هو اسوا استيلاب و اقبح عبودية " .[2]

اما المرحلة الثانية , تقوم على القول بالثنائية , فمثل ديكارت يكون قد فرق بين النفس و البدن ,وبين الاله و الكون و يظهر هذا من خلال قوله " و لكن اذا كان في العالم بعض الاجسام او بعض العقول او طبائع اخرى لم تكن تامة الكمال فان وجودها كا واجبا ان يعتمد على قدرته بحيث انها جميعا لم تكن لتقدر على ان تقوم بدونه لحظة واحدة " [3] .

داغوني ينتقد الفلسفات القديمة التي قامت على التصور الثنائي محاولا وضع تصوره الجديد للفلسفة الذي يقوم على التصور الواحدي .و الى هاذا الحد يبدو بالنسبة لداغوني ان الميتافيزيقيا (الفلسفة) , لم تحاول قطع صلتها مع التاملات الذاتية و لا قطع صلتها مع الثنائية التي ترافقها دوما و كانها ضلها .–[4] و على حد تعبير داغوني فان **باروخ سبينوزا** يحتل مرتبة هامة في نقد الفلسفة الديكارتية ثم تاتي تجريبية **جون لوك** و **دافيد هيوم** و **كوندياك** في فرنسا .

واتى الجمع بين المذهبين مع **كانط** رغم ا **داغوني** يرى في حل كانط حلا فاشلا و لا يتردد داغوني في اعتبار ان الكانتية التي احدثت ثورة نجت من الوقوع في طريق مسدود , التعارض بين العقلانية و التجريبية , لكن وقعت حبيسة مذهبها فلقد جعل كانط الانا او الكوجيتو متعال و بقي حبيسه .

اما المرحلة الثالثة دشنها كا من هيغل و ماركس انهما في طليعة الجدلية التي نجحت في تزويج العقلي بالواقعي و يعتقد داغوني بان هيغل على وجه الخصوص لم يضع حدا للمشكلات الفلسفية الحديثة و لكن جمع كل النظم

[1] Ibid p 18.

[2] المرجع السابق , مذكرة فلرانسوا داغوني ص 65.

[3] رونيه ديكارت , مقالة عن المنهج, مرجع سابق , ص224.

[4] François dagognet . faces . surfaces _ –.interfaces.librairie philosophique .j vrin .1982.p.208.

و اقترح نظاما جديدا و لم يحاول انتقاد او تحسين البناء الفلسفي السابق بل استوعبت فلسفته كل الفلسفات و هي ان صح التعبير احاطة و مسح لتاريخ الفلسفة [1].

في خاتمة كتابه , يعرض علينا ملاحظاته الخاصة بالمرحلة العصرية و اعتبار ان :

ـ كل هذه الفلسفات المعاصرة تشترك في انها قاومت فكرة ان العلم هو المفتاح الذي يحل مشاكل الانسان , و بالتالي تحذر من مخاطر تقنية .

ـ كل هذه الفلسفات تشترك في التفكير في المستقبل , حتى لا يقع العالم الذي نعرفه في مشاكل .

ـ كل هذه الفلسفات تشترك في رفضها للنظم الجامعة .

ان المرحلة المعاصرة تعتبر اكثر تعقيدا .و اهمية لانها الفلسفة الوحيدة التي لا ترفض التعامل و التعاون مع الميادين الاخرى من علم النفس و علم اللغة و غيرها , لعل هذا ما احتفظ به الفيلسوف داغوني من معلميه غاستون باشلار و جورج كانغيلام , و هو ان الفلسفة لا تستطيع ان تتغذى من نفسها و لكن عليها ان تدخل مدرسة العلوم و ان تتفتح على المعرف و الاداب الاخرى .[2].

وظيفة الفلسفة عند " فرانسوا داغوني" :

لقد اراد داغوني توجيه الفلسفة الى العناية بالواقع الاكثر من خلال تحليله للتاريخ الفلسفي و يصل الى بيان وظيفة الفلسفة اليوم و علاقتها بالعلوم بشكل عام و بالتالي فلسفة العلوم . اي كل تفكير في العلم او في اي جانب من جوانبه , في مبادئه او فروضه او قوانينه , في نتائجه الفلسفية او قيمته المنطقية او الاخلاقية [3] . وهواهتم بفلسفة العلم من جانب علم البيولوجيا بشكل خاص , هذا التفكير في العلم في منهجه و في منطقه و في خصائص المعرفة العلمي , شروطها , طبائع تقدمها , كيفياتها عواملها , ان الفلسفة بهذا هي كذلك مسؤولة عن تاريخ العلم

[1] Robert maggiori .Aquai sert la philosophie P15.

[2] مرجع سابق بتصرف ص 1439/1438.

[3] محمد عابد الجابري , مدخل الى فلسفة العلم , ص 24.

, و وضعيته و محاولة فهم ظاهرة العلم فهما اعمق . و ما دامت كذلك فان فلسفة العلم في هذه الحالة هي المعبر الرسمي و الشرعي من دون منازع.[1]

لقد كانت الفلسفة من قبل , اي قديما تدير ظهرها لتاريخ العلم و لعل السبب الرئيسي في عدم الاهتمام به هو العقلانية التي ترى الحقيقة واضحة يمكن للانسان ان يدركها . و ان يميزها عن الباطل . فالعقلانية اتجاه تنويري يثق في الانسان ثقة عمياء و يرفع الوصاية الملقاة عليه لانه الكائن العاقل . **فديكارت** , مثلا رفع الوصاية عن الانسان و ذلك بالقول بالثة في العقل و الله . و **فرنسيس بيكون** رفع الوصاية عن الانسان و ذلك عن طريق الثقة في الحواس و في الطبيعة .[2]

ان الفيلسوف داغوني من الفلاسفة الذين يمتلكون طريقة خاصة في عرض القضايا و تحليلها فهو يجد متعة الذهاب بتحليلاته هذه الى ابعد حدود من المغامرة و المخاطرة . و اقول المخاطرة , ذلك ان ما يعرضه , على حد تعبيره , لا يرضي الجميع دائما . لذا نجده في كتابه : .faces . surfaces . interfaces , يضع الخطوط الكبرى لفلسفته , التي اعتبرها جديدة اذا ما قسيت بالفلسفات القديمة . من هذه الخطوط و التي ينظر اليها داغوني على انها محور و مركز دراسته نجد :

_ صورة الانسان , و التي يعني بها شكل او ظاهر الانسان او بنيته . يشكل الكائن الحي و خاصة منه الانسان صميم فلسفته , بحيث يضعه في اعلى سلم الكائنات . و خاصة ظاهره او شكله . يقول **داغوني** : " لم يكف الجسد عن الحديث , و علينا ان نستمع الى لغته "[3] ., خاصة اذا علمنا ان هذا المذهب الطبيعي يفسر جميع ظواهر الوجود بارجاعها الى الطبيعة , و هذا كما سبق الذكر يعارضه داغوني من ناحيتين : الاولى ان الطبيعة لا قيمة لها من غير الانسان . و الثانية انه لا وجود لشيئ طبيعي و كل شيئ مصطنع .

[1] يمنى طريف الخولي , فلسفة العلم في القرن العشرين ص.ص.10.11.

[1] غاستون باشلار , تكوين العقل العلمي .مرجع سابق , ص 27.

[3] François dagognet . faces surfaces interfacces.p.

_ المحور الثاني الذي يؤسس عليه داغوني فلسفته , هو السعي الى عدم التمييز بين مختلف الوظائف , و مادامت دراسة الجواهر امر سهل (الجسم و مختلف اجزائه) . فعلينا الاعتناء به املا في استنباط معرفة نفسية .[1]

_ الإتجاه الثالث الذي يبني عليه **داغوني** فلسفته , يعتمد على تحليلات " الفيزياء الإحيائية " Biophysique التي تولي للسطح او الظاهر فقط دون العمق .هو يريد فهم الإنسان من خلال المواقف و الوضعيات و طيات و خصوصيات الجسماني (البدن) .[2]

[1] Iibd P10.

المبحث الثاني: ابستمولوجيا الطب

1_ مفهوم الإبستمولوجيا

فلسفة العلم موضوع يصعب تعريفه , و يرجع هذا الى في جانب كبير منه الى ان الفلسفة ذاتها يصعب تعريفها . غير ان على الأقل بين العلوم الفيزيائية و البيولوجية و الاجتماعية و السلوكية و الفلسفة قوية للدرجة التي تجعل من فلسفة العلوم اهتماما محوريا لكل من الفلاسفة و العلماء .[1] و هو الحال أيضا بالنسبة لمفهوم الإبستولوجيا فهو غير مضبوط لدى الكثير من المستعملين له , و في الاستعمال الشائع يفتقر هذا المصطلح الى عنصر الدقة و الضبط . و هذا راجع لعدة اسباب رئيسية اوردها الجابري في مؤلفه مدخل الى فلسفة العلوم و هي باختصار كما يلي :

إن هذا العلم او على الأصح هذا النوع من الدراسات و الأبحاث قديم جدا و حديث جدا في ان واحد و معروف صعوبة الفصل بين ماهو قديم و ماهو حديث خصوصا عندما يتعلق الأمر بميدان المعرفة البشرية التي تشكل سلسلة متواصلة يصعب بل يستحيل فصل حلقاتها.

و من جهة اخرى فان البحث في مثل هذه القضايا كتعريف العلم و بيان موضوعه و مناهجه و علاقته بالعلوم ...الخ هو من جملة الأبحاث التي تنتمي بشكل أو أخر إلى عالم الفلسفة , و عزل ميدان عن الفلسفة كبحث مستقل هو من أصعب الأمور , خصوصا إن كان موضوعا متعلقا بالفكر و النظر لا المادة و الواقع .

و لابد من التنبيه الى إن الدراسات الإبستمولوجية تتناول بالتحليل و النقد نتائج العلوم الطبيعية منها و الإنسانية , فهي نوع من فلسفة للعلوم و بالتالي من الطبيعي إن تصطبغ التأويلات الفلسفية بصبغة إيديولوجية مما يصبح من الصعب تحديد إطارها ا العلم و غايته .

[1]. اليكس روزنبرج, فلسفة العلم مقدمة معاصرة ,تر احمد عبد الله السماحي , ف الله الشيخ ط1 . المركز القومي للترجمة .القاهرة 2011.ص11.

اضف الى هذا صعوبة اخرى هي ان مصطلح الابستمولوجيا يختلف مدلوله من لغة الى اخرى , و عدم اتفاق اللغات الحية على مدلوله .[1] فمثلا استعمال هذا اللفظ كصفة في العبارات التالية .

_un projet epistemologique .

_une critique epistemologique.

_l aspect epistemologique d une œuvre.

و هذا يبين غياب الدقة في تحديد علاقة الابستمولوجيا بتاريخ العلوم و علم المناهج .[2] و يعني ان مجال البحث الخاص بهذا اللون الجديدي من الدراسات التي تتخذ المعرفة موضوعا لها مازال غير واضح المعالم و حتى طبيعة القضايا التي يجب تناولها هي محل خلاف مما يفسح المجال للخلط و عدم الدقة في استعمال هذا المصطلح .[3]

جاء في القاموس الموسوعي ل فيليب اوزو , ان الابسمولوجيا هي : "فلسفة العلوم التي موضوعها الدراسة النقدية للمبادئ و الخطوات العلمية و لمناهج العلم و نتائجه"[4] .

و يترجم احيانا لفظ ابستمولوجيا الى لفظ معلوماتية و تعرف كالاتي: تدل هذه الكلمة على فلسفة العلوم لكن بمعنى ادق فهي ليست حقا دراسة المناهج العلمية التي هي موضوعها الطرائقية و تنتمي الى المنطق كما نها ليست توليفا او ارهاصا ظنيا بالقوانين العلمية على منوال المذهب الوضعي و النشوئي . جوهريا المعلوماتية هي الدرس النقدي لمبادئ مختلف العلوم و فرضياتها . و نتائجها الرامي الى تحديد اصلها المنطقي . قيمتها و مداها الموضوعي .[5]

---

[1] محمد عابد الجابري . مدخل الى فلسفة العلوم . مركز الدراسات الوحدة العربية . ك5 . بيروت . 2002. ص16ص17 .

[2] انظر . عبد القادر بشته .الابستمولوجيا مثال الفزياء النيوتونية . دار الطليعة . بيروت . ط1 .1995. ص 05.

[3] المرجع تفسه, ص16ص17 ..

[4] Philippe Auzo . Dictionnaire Encyclopedique AUZOU . epingle . edit philippe auzou . paris .2008. p 720.

[5] . اندري لالاند موسوعة لالاند الفلسفية . منشورات عويدات . بيروت باريس . ط 1. 2001 . ص A*G357. تعريب خليل احمد QUATIONموسوعة لالاند الفلسفية .

و يذكر ابراهيم مدكور نفس التعريف للابستمولوجيا المصاغ من طرف **لالاند** . و لكنه يضيف الى هذا التعريف ان لفظ الابستمولوجيا يطلق في اللغة الانجليزية على نظرية المعرفة بوجه عام . و يستعين في هذا بقول رونز .

* الابستمولوجيا احد فروع الفلسفة الذي يبحث في اصل المعرفة و تكوينها و مناهجها و صحتها .[1]

يتركب لفظ ابستمولوجيا من كلمتين يونانيتين

الابستمي . و هو موضوع الابستمولوجيا .ـ

اللوغوس . و يدل على المنهج .ـ

الابستمي في اللغة اليونانية العلم و المعرفة و يمكن ان نلاحظ بهذه المناسبة ان فوكو قد اعطى هذا اللفظ معنى بعيدا شيئا ما عن المعنى الاصلي اليوناني فيدل باختصار على صورة معينة للمعرفة في عهد ما . و هكذا يتحدث فوكو عن ابستمي عصر النهضة الاوروبية و عن ابستمي العصر الحديث الخ ..و قد يصبح القول ان الابستمي تعني هنا العقلية المعرفية لعصر ما .[2]

اما الجزء الثاني من الكلمة فتحوم دلالات اللوغوس الاصلية حول معنيين اساسين . يتعلق الاول باللغة و الخطاب و يخص الثاني العقل بوصفه اداة للتفسير و التقويم . و العلاقة بين المعنيين المذكورين متاكدة . انها علاقة المنطق بالعقل و هي بارزة على كل حال مستوى استعمال المصطلح الفرنسي .المتاتي مباشرة من اللوغوس . المنطق يهتم بالخطاب فيفسره تفسيرا عقلانيا باعتباره يتضمن هياكل عقلية . logique .[3] .

و يرجع تاريخ ظهور ظهور كلمة الإبستمولوجيا الى أواخر سنة 1906 في قاموس larousse illstre و هي بالتقريب الفترة التي ظهرت فيها معجم **لالاند** .

[1] ابراهيم مدكور . المعجم الفلسفي . طرق الالف . الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية . القاهرة . مصر . 1983 . ص 01.

[2] بشنه عبد القادر . الابستمولوجيا . مرجع سابق .ص10 .

[3] انظر المرجع نفسه . ص21

و اذا جمعنا بين اللفظين ابستمي و لوغوس نحصل على معنى قريب من المعرفة الفسرة عقلانيا . او المعرفة المستندة على اساس منطقي يتقبله العقل .

و هو مفهوم تمثله محاورة **افلاطون** *تيتانيوس* كنظرية واسعة في العلم من خلال عنوانها الفرعي حول العلم . على ان كلمة علم في هذا الموضع لا تعني المعرفة العلمية الحائزة على مواصفات معينة مثل تلك التي نعرفها في الوقت الحاضر التي تتعلق باكاديمية العلوم و الثقافة العلمية و تطبيقات العلم لكن المعرفة المبررة التي تمتزج فيها الحقائق العلمية و الفلسفي.[1]

و يبقى ان الكثير من الابستمولوجيين يحددون معنى كلمة ابستمولوجيا بالقول انها نظرية العلم و على راسهم الابستمولوجيين الفرانكونيين و في ذلك يرى الدكتور . **محمود يعقوبي** . في مقدمة كتاب **روبير بلانشي** ان العلم الجي يدرس القيمة المنطقية للمعرفة هو ما اتفق على تسميته نظرية العلم او الابستمولوجيا .[2]

لماذا يعتبر الطب موضوعا إبستمولوجيا ؟

فإذا انطلقنا من اعتقاد **كانط** في السؤال ما الإنسان و الذي يلخص التساؤلات الثلاثة التي تمثل نمثل مجالات الفلسفة هذه التساؤلات هي :

_ ماذا أستطيع ان اعرف ؟

_ ماذا يجب أن أفعل ؟

_ ماذا أستطيع أن أمل ؟

و إذا كان الفلسفة المعاصرة في ذاتها تاريخ (اي أصل) فكيف يمكن التصور ؟أن أقدم و أخصب علم من العلوم الإنسان الطب لم يؤثر على الفلسفة في عمقها ؟

[1] انظر . روبير بلانشي . نظرية العلم . الابستمولوجيا . تر . د محمود يعقوبي . ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون . الجزائر . 2004. ص.ص 9.10.
[2] انظر المرجع السابق ص03

و كيف يمكن له أن يبقى على هامش المناقشات الأساسية في الإبستمولوجيا أو في نظرية المعرفة العامة بالمعنى العام ؟

يستدل **لوكور** بموقف الطبيب و الفيلسوف الفرنسي **جان جورج كبانيس** في مقالة بعنوان "**درجة اليقين في الطب** " حيث يذكر ما نصه " حين لا يكون للطب في الأمراض التي يسكنها و يشفيها ز هدف نفعي بين . يبقى بحاجة إلى اهتمام يكون أساسا في فلسفة عقلية جيدة , فالطب هو ما وحده يمكننا من معرفة القوانين هذه الآلة الحية , و معرفة النشاط العادي لإدراكنا في حالة الصحة أو التغيرات التي تتأثر بها هذه القدرة في حالة المرض . إن الطب يظهر لنا الإنسان في طبيعته الفيزيائية , أين يكون جانبه المعنوي جزءا منه أو وجهه الأخر ".

من هذا القول يمكن أن نستنتج أن الطب لا يتمتع باليقين و الدقة الكاملين , و بالرغم من هذا , يعتقد **كبانيس** أن للطبيب نوعا من الحدس يمكن أن نسميه الحدس العلمي . فالطبيب الذي يقف أمام سرير المريض . لا يمكنه ألا يرتبك داخليا . إنه يرى تارة في ملاحظاته أنها قاصرة و أن تنبؤاته خاطئة حتى يهتدي ب عدها إلى غريزته التي تحسنت شيئا فشيئا بفعل العادة (أي تجربته المهنية), أو إلى ذلك الإلهام العلمي .

فالبرغم من خطأ هذا الحدس في كثير من الأحيان إلا أنه يبقى المصدر الوحيد في محاربة الألم إن طبيعة الطب , التقنية من جهة و فكرة إبستمولوجيا خاصة بالطب من جهة ثانية تثير مسألة العلاقة بين الطب و البيولوجيا , حتى إن سلمنا بأن للطب صورة المعرفة النظرية , فالسؤال المطروح , هل تستحق هذه المعرفة النظرية التي يتصف بها الطب ابستمولوجيا خاصة متميزة عن تلك المتعلقة بالبيولوجيا ؟ إن هذه المسألة أصبحت تطرح انطلاقا من اعتبار العلاقة في صورتها الجديدة , أي من خلال الإرتباط الضيق للطب للطب الذي هو في توسع كبير مع البحث البيولوجي الأساسي . و في هذه الحالة إما أن تكون العلوم الطبية قد نبعت من هذه الأسس البيولوجية و منه لا دعوى للحديث عن إبستمولوجيا خاصة بالطب . أو أن الأمر غير دلبط و هذا معناه أن موضوع الطب الأساسي و المثالي و هو المرض يفلت من المسؤولية العادية للظواهر البيولوجية .

و في هذه الحالة الثانية علينا أن نعترف بأن هناك استقلالية جوهرية للمعرفة الطبية بالنسبة للمعرفة البيولوجية . بهذا تكون من أولويات ابستمولوجية الطب , تفسير معنى و مشروعية الإستقلالية .

2_موقف داغوني من الفيسيولوجيا

إن مسألة التمييز بين الطب و البيولوجيا هي من الأمور التي حاول داغوني تحقيقها , لما لها من أهمية في إثبات إبستمولوجيا خاصة بالطب متميزة عن تلك الخاصة بالبيولوجيا و ذلك بتحديد موضوعه و منهجه و أهدافه . و لذا نجده لم يكتف بهذا بل راح يميز بين أهم فروع الطب الباثولوجيا و أهم فروع البيولوجيا الفيزيولوجيا و قد كان الغرض من هذا التمييز ابعاد تلك الصورة التي تعود البعض عليها و هي ربط الطب بالبيولوجيا .

يضع داغوني الكيميائي في أعلى هرم فلاسفة البيولوجيا و يعتبره بنثابة نبيهم . و يقصد هنا الكيمياء الحيوية la biochimie " le chimiste se presente a nous comme le philosophe de la biologie par excellence et meme comme son prophéte "[1]

ذلك أن الكيمياء الحيوية هي أكثر العلوم التي شهذت من التطور حتى البلوغ . لان بالنسبة له الفيزيولوجيا توقفت ابتداءا من القرن التاسع عشر , و بقيت تعمل في إطار الوصف إنها من دون شك نبهتنا و أنقذتنا من التصورات الساذجة للظواهر و لكنها لم تستنتج .[2] و بالرغم من الأهمية التي تكتسيها الكيمياء الحيوية إلا أنها هي كذلك مثل الفيزيولوجيا قاصرة عن مساعدة المريض و تخليصه من مرضه . و هو دور الطب و العيادة لا غير في نظر داغوني . لان الطبيب يفلت من التجريد الميت . للكيمياء الحيوية . ففي نظر العيادة هذه الأخيرة تحطم نفسها بنفسها إنها تستعمل مفاهيم خاصة ,كما تستعمل لغة الأرقام . فهي ذات وجهين , تارة مادية ميكانيكية ذات تاويلات قهرية و مفروضة لا نهاية لها . و تارة أخرى حيوية بيولوجية تظهر تطورات الوظائف الحية .[3]

[1] François dagognet , philosophie biologique ,p.p.66.67.

[2] François dagognet , pencer le vivant , l'homme , maitre de la vie .p.151.

[3] François dagonet , philosophie biologique , p.p.84.85.

ليس هناك بالنسبة للفيلسوف إمكانية التعرف على الجهاز العضوي بكليته إلا عن طريق العيادة و الطب .

فالتقدير الكمي و التفاعلات و الارقام التي تستعملها الكيمياء الحيوية . لا تمثل إلا ظواهر معزولة أو مجردة . فالأرقام لا تحدد لنا شيئ و لا حتى مخاطر المرض و الألم . و تتضح هذه الفكرة أكثر من خلال مثال يقدمه الفيلسوف عن الضغط الدموي بواسطة و الذي نعبر عنه بدرجة معينة في الحقيقة يدعم عمل العيادة في التشخيص المرضي و هنا تشترك العلامة الموضوعية "الدرجة" و العلامة الوظيفية " العيادة و الفحص " . إلا أن العلامة اموضوعية يمكن أن نجدها لدى إنسان سليم جسميا . بالنسبة للطبيب الحقيقي فإن المصاب بمرض الضغط الدموي ليس إنسانا درجة الضغط لديه مرتفعة , بل هو إنسان يتألم و يشكو من نشاطه المحدود . و بهذا فإن المرض لا يقدر بأهمية الأرقام . الدليل أن بعض الاشخاص يجدون التوازن في الدرجة العليا للضغط الدموي . لذا يعتقد داغوني أن ما ينطبق على الضغط الدموي ينطبق على أي معطى مخبري حتى الأخطر منه .[1]

و لكي يبين لنا الفيلسوف الفرق بين الباثولوجيا و الفيزيولوجيا و يثبت في الوقت نفسه قصر هذا الاخير عن التعريف بالمرض أو مساعدة المريض . يقدم الفيلسوف داغوني ملاحظتين ابستمولوجيتين لعلم الفيزيولوجيا لأنها من أول و أهم فروع البيولوجيا و كان الهدف من هذه الملاحظات , دائما هو إثبات وجود فلسفة طبية مستقلة عن الفلسفة البيولوجية .

أولا فيما يتعلق باللامبالاة التي تتعلق بالوسائل الفيزيولوجية , فما دامت الفيزيولوجيا تجرب على الحيوان عليه أن تعلم أنه وحدة مغلقة على حدا لا يمكن مقارنتها بوحدة اخرى فالحيوانية حل في بعض الاحيان لبعض المسائل المقترحة عليها فقط و التي تحاول حلها بطريقتها الخاصة بمى أن لكل حيوان طريقة رد فعل خاصة به .[2] و من هذا يعتقد

[1] François dagognet , philosophie biologique , p.86.

[2] Ibid,p.36.

الفيلسوف . أن الفيزيولوجيا تسعى إلى أمرين متناقضين يمزقانها , من جهة ضرورة التحليل بالنسبة للمجرب (العالم) و من جهة أخرى ضرورة الإحتفاظ بالكلية بالنسبة للحيوان .[1]

كما ان الحيوان لا يمدنا غلا بلأعراض الفيزيولوجية للمرض فهو لا يتكلم و لا يعارض , و بالتالي لا تعطينا الفيزيولوجيا من خلال دراستها للحيوان إلا جداول و حسابات و بيانات و أرقام و نسب ...الخ .

هذه المعطيات لا تمكننا من معرفة الحيوية الفيزيولوجية و هذا يؤدي غلى عقلانية خاطئة وهذا ما يفتح مجالا للنزعة الشكية .[2] من هذا فإن اتجاه الفيزيولوجيا هو العقلانية المجردة بقطع النظر عن مبحثها و بهذا فإن المعرفة الفيزيولوجية لا تكون ممكنة إلا ضمن بحث طبي إنساني .

و بالتالي يمكن تحقيق فيزيولوجيا الوظائف اللانهائية . فيزيولوجيا حقيقية . فلكي فلكي نبني عقلانية صحيحة في نظر داغوني علينا أن نعمل على تكييف مفاهيم بيولوجية مع البيولوجيا نفسها . لأن اللغة التي تستعملها البيولوجيا , لغة توصف بانها قادرة على التعبير حتى عما هو غير معقول , لغة تتركها دائما حبيسة الوثوقية , لأنها لغة تشبه لغة الدعاية القادرة على الإجابة عن كل الأسئلة , و في كل مجال و تحسب نفسها دوما على صواب , لأنها تحول الهزيمة إلى خطة استراتيجية . لأنها تنجح في تحويل كل تقدم او تطور في مجال لا ياخذ بعين الأعتبار الحيوان _ غلى قياسات و بيانات مدرجة . لانها في نهاية الأمر قادرة على إنتاج المفاهيم .[3]

كل هذه الإنتقادات التي وجهها الفيلسوف **داغوني** للفيزيولوجيا المجردة , يضيف إليها نتيجة هي في اعتقاده غير منتظرة , و التي تسمح في المقابل بإثبات أصالة العيادة , و هذه النتيجة تتمثل في فكرة التشبيه , أو التجسيم الذي

[1] Ibid ,p.41.

[2] François dagognet , philosophie biologique , p.43.

[3] Ibid , p.45

لا مفر منه و هذا ينبغي على الرغم من أن الفيزيولوجيا تخافه .[1] و هنا المقصود بذلك تشبيه الإنسان بالحيوان , و هو أمر ينبغي أن تنتهجه الفيزيولوجيا بالرغم من أنه لن يوصلها إلى الحقيقة .

في هذا الصدد يعرض لنا **داغوني** مثالا عن اعمال الفيزيولوجي الفرنسي **كلود برنار** الذي أمضى وقتا كبيرا في دراسة مرض السكري , محاولا تحليله و معرفة أساسه . في نظر داغوني إن كلود برنار تناول المسألة تناولا ايتيولوجيا . و بالتالي حاول الإجابة عن السؤال ماهو سبب المرض ؟ و في الوقت نفسه تناول مسألة تولد المرض أي تفسير خلل عضوي معين .

إن اكتشاف كلود برنار الذي أسس للطب التجريبي , في نظر داغوني , كان القصد منه بيان اعتماد على هذه الأعراض أن المريض يصنع السكر بشكل مفرط . إنه مصنع للغليكوز على حد تعبير داغوني , و بالتالي هناك فرط السكر في الدم . حتى يذهب كلود برنار إلى أبعد من ذلك , عندما عمد على التجربة على الكلاب . و لاحظ أن الكلب حين يقدم له الغذاء منقوص من السكر لا تنقص كميته في الدم و لا في البول . يتوصل العالم في الأخير إلى الكشف عن الوظيفة التي تمردت , و التي اخلت بالنظام . إنه الكبد أي الوظيفة الغليكوجينية (تكون سكر الكبد) , و يحصل مرض السكري حين يفرز الكبد كمية كبيرة من السكر في الدم على المريض التخلص منها.

يرى **داغوني** أن ملاحظة علامة موضوعية للمرض لا تعرفنا بالاسباب الحقيقية و لاعن ما يوقفه و لا على ما يلطفه اي العلاج , حتى يؤخر او يؤجل النهاية . إن فيزيوباثولوجية كلود برنار و يمكن تسميتها كذلك لأن في اعتقاده أن الفيزيولوجيا تسمح لنا بفهم الباثولوجيا _ تحاول ابتلاع مرض السكري و اعتباره مجرد تجاوز لنسبة السكر في الدم .هذه النظرة منقصة لقيمة مرض السكري , و هي سجينة فلسفته الوضعية . و لذا فهي مسخرة للإجابة عن السؤال كيف؟ و ليست متفتحة على الإجابة عن السؤال لماذا ؟ .[2]

[1] François dagognet , philosophie biologique ,p.65

[2] François dagognet , penser le vivant , l'homme maitre de la vie .bordas , paris .2003,p.184

إن الوضعية التي كانت تشكل أساسا البحوث التي كان يقوم بها **كلود برنار** و التي جعلت منه يخضع الكائن الحي للألية سرعان ما فندها تطور الفيزيولوجيا من جهة و الطب من جهة اخرى , و اصبح واضحا أن البنكرياس هو الذي يفرز هرمون الأنسلين المكلف بالحفاظ على استقرار كمية السكر في الدم . و يشارك في الإستقلاب أو الأيض السكري كذلك كل من الغدة النخامية و الغدتين الكظريتين . و ما ينقص من النظرية البرناردية مثلما يسميها داغوني هو اننا نعرف اليوم أنواع كثيرة من السكري .[1]

هذه إشارة واضحة للفيلسوف داغوني حول الثقة التي كانت تمنح للفيزيولوجيا , لانها تستند إلى الملاحظة الموضوعية و إلى التفكير الوضعي الذي هيمن على عقول العلماء حين من الدهر , و نتج عن دلك معاملة المادة الحية كمعاملة المادة الجامدة .

من هذا كله , يميز الفيلسوف داغوني بين البيولوجيا او بلأحرى احد اهم فروعها , الفيزيولوجيا و بين أحد اهم فروع الطب و هو الباثولوجيا . فما دام المرض او النقض في وظيفة من وظائف الاعضاء . إلى جانب عدم التخلص من الموت , هي أمور تطبع الكائن الحي . ينتج عن ذلك نشاط خاص (ذاتي) , أي توجيه ذاتي . الطب يوجب العلاج , الذي ينبغي تمييزه عن الفيزيولوجيا , حتى إن كان قريبا منها . يؤكد على هذا التمييز الجراح الفرنسي **بيشه** الذي يرى بان هناك شيئين في ظواهر الحياة , حالة الصحة و حالة المرض و ينتج عنهما علمان متميزان

1_ الفيزيولوجيا التي تهتم بالحالة الاولى (الصحة)

2_ الباثولوجيا التي تهتم بالحالة الثانية (المرض).[2]

فإذا كان التشريح يقطع الجثة في نظر الفيلسوف **داغوني** و الفيزيولوجيا ترضخ الحيوان , و الكيمياء الحيوية تهتم بالبنية التحتية , و تعزل تجريديا التفاعلات التي لا تقف عندها إلا قليلا , هي بالذا تالبنية التحتية , لامعنى لها , و متغيرة من فرد إلى أخر . إن الباثولوجيا تقودنا إلى الواقع التام و الحقيقة الكاملة , إزاء المريض يتألم.

[1] Ibid,p.185

[2] Ibid , p.182

في نظر داغوني يندرج الطب ضمن المباحث التي ليس لها مرجع و محاولة الفلسفة تبرير التجريبية , بالنسبة لداغوني هي طريقة من طرق تحطيمها فلسفيا في الوقت الذي كانت فيه متجذرة و معترفا بها , و ممجدة بالتعبير العلمي و المهني .[1]

المبحث الثالث : البيوإتيقا عند فرانسوا داغوني

1_ الطبيعة و العالم الحي عند فرانسوا داغوني

لا يمكن ضبط موقف الفيلسوف فرانسوا داغوني البيوإتيقي إلا على ضوء مواقفه من الطبيعة و العالم الحي , ذلك أنه يعتبر أن الموضوعين مرتبطين ببعضهما البعض , و لا يمكن أن نعزل الإنسان عن وسطه , وبالتالي لا يمكن فهم الكائن الحي و لا فهم الحياة إلا بفهم الطبيعة التي تضمها , يقول داغوني : " الحياة هي المخبر الأول للطبيعة"[2] ' فماهي رؤية داغوني للطبيعة و الكائن الحي ؟

أ_ في الطبيعة la nature : إن مفهوم الطبيعة في نظر الفيلسوف داغوني هو من اصعب المفاهيم تحديدا . يرجع هذا للمعاني التي يمكن أن تحملها هذه الكلمة , و المتزايدة من عصر إلى أخر .و في الوقت نفسه , توسع حلقة النقاش حولها , واشتغال اللاهوتيين و الفلاسفة و العلماء و التقنيين و الأخلاقيين و الحقوقيين و الأطباء و علماء العمران بها . إن صعوبة ضبط مفهوم الطبيعة في نظر داغوني يمكن تذليلها و ذلك بمعرفة ما يقابلها و يضادها من المعاني.

[1] François dagogne, l'homme de la vie . p.p.105.106.

[2] François Dagonet , Rematérialiser :Matiéres et Matérialismes ,Librairie philosophique J . vrin .1985.p.241.

من هذه المفاهيم المقابلة لها , الصناعي L'artifice الذي نلجأ إليه غالبا لإخفاء أو تجنب أو تعويض النقص الموجود في الطبيعة.فالطبيعة أعطت للإنسان يدا , أسنان و أرجل و غيرها من الوسائل .حتى المزارع التي ينشئها الإنسان , في الحقيقة الغرض منها هو إصلاح مظهر القبح الذي تتصف به الطبيعة.[1]

من غير شك , أن مفهوم الطبيعة يناقض كذلك مع مفهوم العقد أو الميثاق أو القواعد covention Régle فالطبيعة تشير إلى ما لايقبل الإختزال او الإنقاص L'irréductible , كما تشير إلى الثابت Constant إلى ماهو دائم Immuable أما العقد فهو من وضع الإنسان , وبالتالي فهو ذو معنى اعتباطي , فهو يتغير يتغير الزمان و المكان . يتساءل الفيلسوف فيما إذا كنا نستطيع الاحتفاظ بهذه الثنائية مثل ما هو الحال في عبارة الحق الطبيعي Droit Naturel .[2]

و هو المبدأ الأساسي الذي تستمد منه القوانين الوضعية معقوليتها . قال دولباخ D'holbach pierre henri 1723/1789م فيلسوف فرنسي من أصل ألماني : " أيتها الطبيعة إن لك على جميع الموجودات سلطانا , فلتكن بناتك المعبودات , أعني الفضيلة و العقل و الحقيقة ' آلهتنا الوحيدة دائما "[3]فالحق ,ضروري , و معقولو عالمي ,في نظر الفيلسوف إنه مستنبط إما من الكون و نظامه أو من الإنسان و أهوائه.

يعتقد داغوني أن الكلمة المنافسة لكلمة طبيعة هي كلمة العالم Le monde Mondus , و هنا يشير إلى رأي اندريه بيليسييه André Pellicier الذي يرى بأن المتتبع لفقه اللغة , و الأمثلة الكثيرة , يمكن استنتاج الفرق الأول في استعمال هذه الكلمات , يبدو أن كلمة العالم و ليس الطبيعة , هي المفضلة , حين ندخل الاعتبارات المكانية و بصورة عامة الواقعية (شكل ,حدود الكون) فالعالم هو الكون الواقعي , الحقيقي , أما الطبيعة , فبالرغم من واقعيتها إلا أنها تبقى دائما مجردة.

[1] François Dagognet , Nature , Librairie philosophique , j.Vrin , paris ;1990.p9

[2] Ibid ,p.11

[3] جميل صليبا, المعجم الفلسفي ,ج .2 , دار الكتاب اللبناني ,بيروت ,لبنان ,1978,ص.ص.14.15.

أما الموصوف كوسموس cosmos أو الكون Univers و كل ما يحتويه . هو كذلك قريب من كلمة الطبيعة , و الذي نجده على الأقل في علم الكونيات cosmologie إنه يؤكد أكثر على المظهر الجمالي الإستيطيقي للطبيعة . و لذا كان يعني في الأول عند الإغريق زينة Omement أو حلية النساء parure . ثم انتهى إلى معنى الجمال أو الإستوائية أو النظام, و أخيرا السماء. يبدو أنه يشكل في الأخير إحدى جوانب الطبيعة .

مهما يكن فإن كلمة الطبيعة لها كثير من الإستعمالات و كثير من المترادفات مما يجعلها غامضة غير محدودة , غنها في نظر الفيلسوف داغوني تنتمي إلى الكلمات اللينة , الرخوية أو المطاطية إن صح التعبير .

كما يمكن له أن يصل إلى احتواء معنى الطريقة في الوجود و المبدأ الداخلي . إن هذه السعة ناتجة ,من دون شك , في اعتقاد الفيلسوف , عن الغنى الذي تتصف به الطبيعة . يبدو أن هذا المفهوم يعني الشيئ (في الذات) و قد كان من قبل يعني الشيئ بالذات . فهو في الوقت نفسه الشيئ و صانعه "à la fois une chose et ce qui la produit " إنه متوج بمفهوم الحياة . [1]

يرى الفيلسوف داغوني أن وقت الخضوع للطبيعة قد انتهى و الذي دام لقرون طويلة , خاصة مع المذهب الطبيعي Naturalisme الذي يبني اعتقاده على أن الطبيعة هي الوجود كله , وأنه لا وجود إلا للطبيعة , أي للحقيقة الواقعية المؤلفة من الظراهر المادية المرتبطة بعضها ببعض , على النحو الذي نشاهده في عالم الحس و التجربة . و معنى ذلك أن المذهب الطبيعي يفسر جميع ظواهر الوجود بإرجاعها إلى الطبيعة , و يستبعد كل مؤثر يتجاوز حدود الطبيعة و يفارقها و يسمى أصحاب هذا المذهب "بالطبيعيين"Naturalistes . [2]

و نجد الكثير من المدافعين عن الطبيعة و منهم الفيلسوف إيريك فروم يقول في كتابه الإنسان بين الجوهر و المظهر : " جعلنا التقدم العلمي و كأننا نحيط علما بكل شيئ , كنا على الطريق لكي نصير أشبه بالآلهة . أي كائنات عليا قادرة على خلق عابر أخر , لا تستخدم العالم الطبيعي إلا كأحجار لبناء عالمنا الذي هو من

[1] François dagognet , Nature ,pp.20/21

[2] جميل صليبا , المعجم الفلسفي , ج2 ,ص17.

خلقنا"[1].فالتقدم التكنلوجي في نظره و ما ينجم عنه من مخاطر إيكولوجية و مخاطر نووية . يمكنها أن تكون سببا في إنهاء كل أشكال الحضارة على وجه الأرض . غن المجنمع الصناعي يحتقر الطبيعة و يحتقر كل ما ليس من صنع الآلة.[2]

وقد انتشرت فكرة الاعتناء بالبيئة على المستوى العالمي, كما وضعت برامج في التربية البيئية ضمن المنظومة التربوية في كثير من البلدان إن هذه الإجراءات من دون شك هي استجابة من أجل حماية " المركب البيولوجي ", إلى درجة تجميد مناطق بكاملها , وتحويلها إلى حظائر : منع الصيد , منع التنقل بالسيارات , منع الضجيج , منع في بعض الحالات أخذ الصور ...الخ , يقول داغوني : " لقد بدأت ترتسخ عقيدة عدم المس على نطاق واسع" Une religion de l'intouchabilité ".[3]

إن التأمل في الطبيعة يظهر جليا , في نظر الفيلسوف أن الذي أبدعه الإنسان فيها , أكثر وجودا من الذي اكتشفه و تأمله . إن العمل يقوم مقام الكائن.يعتقد داغوني أن وظيفة العالم تجسيد القوانين و ينتج عن ذلك أشياء و موجودات لا يمكنها ان تكون من دونه . ببساطة , لم يعد المخبر يتأمل بل يصنع La Laboratoire crée il ne contemple plus.[4]

يعتقد داغوني أنه ليس هنلك أكبر من خدعة من اعتبار الطبيعة منسجمة متزنة, تتصف في جوهرها بالحكمة , يمكن تبرير و بشكل تام فكرة أن الطبيعة خطر , تشوبها الفوضى , قاسية و غاشمة . لا شيئ من هذه الصور الوهمية , الخرافية (كالاتزان و الانسجام و الانتظام)يوجد في الطبيعة.[5]

---

[1] إريك فروم , الإنسان بين الجوهر و المظهر , تر , سعد زهران , سلسلة عالم المعرفة , المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأداب 'الكويت, العدد140 , اوت 1989م,ص16

[2] المرجع نفسه , ص22.

[3] Fran9ois Dagognet,Le vivant,Edition Bordas,paris,1988,p.157

[4] J.Vrin .François Dagognet,Nature philosophique.1990p.163.

[5] Rojer-poldroit,(propos recueillis), les grands entretiens du monde ;pensze la philosophie:Numéro spécialde dossiers et documents du monde,tome2,1994.p.24.

و هذا ما يظهر من خلال مواقفه من الطبيعة في كثير من مؤلفاته فقد ذكر في كتابه la raison et les remédes أن الطبيعة ذلك المخزن الكبير الذي لا ينفذ , يحتوي على كل شيئ النافع و الضار.[1] و هذا ما يمكن تمييزه من خلال الطب التطبيقي .

إن ثورة داغوني على الثنائية أو الفلسفة "الإثنينية " قادته إلى عدم التمييز بين المادة و الحيتة . ولذا يعتقد أنه ينبغي التفكير في المادة باعتبارها كل مركب و منظم.[2]إننا نكثر من تصغيرها مع أنها تحتوي على كثير من الجزئيات التي تكونها . إن المواد لم تنقطع عن مشاركة الإنسان في اعماله , فالعلم يتولى الكشف عنها , إنه نجح في الأخذ من المنتوج الطبيعي حتى يقوم بتحسينه. ينطلق داغوني من فلسفة أن " الحياة عي المخبر الأول للطبيعة "و بالتالي تسبق الكيميائي . و لكن عمل الطبيعة , نمطي آلي تلك النمطية العمياء التي لا تستطيع أن تجمع بين المتناقضات فهي تعمل بوتيرة تخضع للتكرار الأعمى و في هذه الحالة **الصناعي يؤكد الواقعي و يرقيه , و ينقذه من التكرار.** فالإنسان بصناعته يستطيع أن يجمع ما فرقته الطبيعة و صففته و جعلته درجات.

هذه دعوة واضحة و تأييد تام من طرف الفيلسوف داغوني للتقنية . و التصنيع و عقلنة الطبيعة للتحكم في الطبيعة.[3] و الأفضل لنا في اعتقاد الفيلسوف معرفة و فهم أن الطبيعة لم توجد على الإطلاق , بل كانت دوما مشكلة بأيدي الإنسان , فإذا زاد تدخل الإنسان اليزم , فهذا ليس تبريرا لحمل راية الإنذار و توقيف التطور . فالصناعات و التقنيات ليست من مخترعات إبليس التي تدنس العالم بواسطة المواد الإصطناعية و القارضة أو الأكلة . بل انه يسعى شيئا فشيئا إلى التعديل و التقييم الذاتي .

[1] François Dagognet , La raison est les remédes,collection dito ;1964.p07

[2] François Dagonet , Rematérialiser :Matiéres et Matérialismes ,pp241.242.

[3] François Dagonet , Rematérialiser :Matiéres et Matérialismes ,p.242.

و أخيرا يعتقد داغوني أنه **إذا كان القليل من التقنية له تأثيرات سلبية , فإن الكثير منها يسمح بمحاربتها** [1]. si un peu de technique engendre des inconvénients , beauqoup de technique permettent de les combatre.

لم يكتفي الفيلسوف بالإهتمام بالعالم المادي فحسب بل تجاوز إلى العالم الحي , لأسباب كثيرة أهمها :

1_ أنه لا أحد ينكر أن العضوية تمثل نظاما معقدا لا يمكن تحليله أو تفكيكه بسهولة و لا حتى أن نقيم عليه تجارب لا معلم عقباها فالتدخل في الكائن الحي يفترض مبدئيا الاستعانة بمنهجية ناجعة Subtile , لأننا إن لم نفكك و نحلل المركب , لا يكون لنا علما بالكيفية التي ترتبط بها عناصر العضوية و لو استأصلناها , نوشك على تمزيقها و بالتالي نحطم ما كنا نريد معرفته , كالوظائف و التأثيرات المتبادلة كيف استطاع العلماء حل هذه المسألة الغير قابلة للتحليل ؟ و للحفاظ على الوحدة التي يتصف بها الكائن الحي , ينبغي علينا أن نتحايل لأن الكائن الحي يعلمنا هذا الفن و هو فن التحايل و هو جهة أخرى يحاول التخلص من أية حتمية , و لكن يمكن التلاعب عليه. كيف ذلك ؟متى؟ بواسطة اي عملية ؟ لا شك ان هذه التساؤلات في نظر الفيلسوف تتجاوز المجال الفيزيولوجي . بمعنى لآخر لا يمكن أن تكون إلا موضوعا للتفكير الفلسفي .

2_ إننا نستند إذا إلى العلوم البيولوجية , ذلك الكشف العظيم للكائن الجسماني المادي . و لكن ينبغي عليها في كل مرة أن تتجاوز حدودها (البيولوجيا) , لما تلقته من تحولات كبيرة حتى أصبحنا لا نعرفها , و تكون قد تخلت عن نظرتها السطحية القديمة , التي تقتصر على وصف المظاهر المسماة طبيعية , للتوغل أخيرا و بشكل تام في جوهر الحياة أو لبها . تمخض عن ذلك و إلى يومنا هذا الامتثال للحياة و احترامها , لكن حان الوقت للتساؤل عن هذا الامتثال و الخضوع . إننا نستطيع و نعرف كيف نغير في الحياة و كيف نعالجها وكيف نتحكم فيها . و هذا هو الداعي الأول للبيوإتيقا عند داغوني .

[1] Rojer-pol droit,(propos recueillis),les grands entretiens du monde ,p.24.siclet Gérard,biotechnologie,encyclopédie,v6.0.72.France S.A/2706/2002.

2_ في ضرورة البيوتيقا عند فرانسوا داغوني

من بين الفلاسفة الذين شاركوا في النقاش الفلسفي حول المشكلات التي تثيرها التطبيقات العلمية , بشكل عام و التقنيات الطبية بشكل خاص, الإبستمولوجي داغوني الذي يعتقد بأن الحل لهذا المشكل لا يخص الأخلاقيين و لا المشرعين و الحقوقيين و لا حتى البيولوجيا الطبية نفسها . حيث يقول " إننا نعتقد بالفعل , أن في استطاعة الفيلسوف بل ينبغي عليه أن يأخذ هذا الدور . حتى يمزق هذه الذرائع , و يعيد النظر في نتائج هذه التطبيقات."[1]

يبدو ان كل المواقف أتت لكي تؤكد من جديد قيمة الإنسان و بالتالي تحكم على التقنية بشكل عام و التقنيات الطبية بشكل خاص , وعلى أنها تمس بالكرامة الإنسانية و لا تحترم أبعاد الإنسان . و هذا ما يبرر من دون شك الثورة عليها من خلال التساؤلات . يقدم الفيلسوف انتقادين للمسائل الأساسية التي تقدما البيوإتيقا فيما يخص بعض النقاط بحيث يرى أن ما تحسبه البيوإتيقا مسائل جديدة هو في الحقيقة كان مطروحا في تاريخ العلوم الطبية البيولوجية و في هذه الحالة لو حددنا مشروعية البيوإتيقا بمسألة التجريب الطبي قبل ظهور مصطلح البيوإتيقا سنة 1960م في مقال التجريب الطبي العلاجي . لأن التجريب على الإنسان في نظره يوضع دائما في إطار التطبيقات العلاجية . بما في ذلك حتى الصعوبات التي تحول دون نجاعتها.

[1] Nous ponsons justement que le philosophe peut et doit ici se placer ;afin de déchirer ou telle pratique ,François Dagognet, le vivant,p.164

أما إذا ربطنا البيوإتيقا بظهور مشاكل أخلاقية , لها علاقة بالطبيب . تكون المفاهيم مثل احترام الحياة أو الأسرار الطبية , قد تم علاجها منذ أمد بعيد , من طرف "علم الواجبات الطبية"la Déontologie .و في هذه الحالة لا ينبغي العودة إليها و كأنها مبادئ مقدسة , فطبيعتها المجردة تجعل منها غير نافعة (غير فعالة) , أو عقيمة , و فرصة لتبرئة الذمة la casuiutique[1] و هذا ما يبرر عدم فاعلية مبدأ احترام الحياة , الذي كان واضحا , قبل ظهور البيولوجيا المعاصرة.

ينتهي داغوني إلى الاعتقاد أنه من السذاجة القول بإمكانية إلغاء أو القضاء على المخاطر الطبية بشكل تام , فالذي يساهم في البحث العلمي خاصة البيولوجي , لا يمكنه تجنب بشكل مطلق النتائج ذات التأثير المتاخر و غير المنتظرة , أو التي لا نتمناها , وبالتالي يعتقد بأننا نعلم أنه عاجلا أم آجلا نتعدى الحدود . و عليه يدعو إلى إقامة حاجز يمنع هذه المشاريع الخطيرة , كما يدعو إلى **إقامة فلسفة البيولوجيا , في صميم البيولوجيا نفسها** .[2] و بالتالي الضرورة المستعجلة إلى إعادة مزاوجة الأخلاق و البيولوجيا.

إن هذه الدعوة تثبت من دون شك تأكيد الفيلسوف على وضع غطاء أخلاقي منظم للبحوث البيولوجية , و المتمثل في فلسفة البيولوجيا . و يكون بذلك قد وضع مفهوما جديدا للبيوإتيقا.[3]

فالفيلسوف في نظر داغوني لا يستطيع حل هذا المشكل فحسب , بل يستطيع المشاركة في تشكيل الوعي حول ما توصلت إليه العلوم من نتائج باهرة . فالأمر يتعلق بوضع حد و التشكيك في بعض المحاولات التي تهدف إلى

[1] خلاقة (تخليق , علم الخلق)casyistique درس أحوال الظمير أي المسائل التفصيلية الناجمة عن تطبيق أحكام أخلاقية على كل ظرف خاص (فتاوى الرواقيين, الأخلاقيين المسيحيين ,كانط) و بما أن المفتيين كانوا من اللاهوتيين , فإن الكلمة تقال بوجه خاص على علم الأخلاق في علاقته بالدين . تستعمل غالبا بمعنى ازدرائي لأن الخلاقيين متهمون بالتحايل و التوصل إلى تبرير أي شيئ , بحيل منطقية.
أندريه لالاند , موسوعة لالاند الفلسفية , تعريب , خليل أحمد خليل , ج1 , منشورات عويدات , بيروت لبنان , ط2 , 2001م, ص150

[2] François Dagognet ,le vivant,p.159.

[3] مرجع سابق , ص 1469

الخرق و التعدي على الحياة . في الحقيقة كما يرى الفيلسوف ,أن الآثار الإيجابية التي نجنيها بسرعة (عاجلا) تتحول إلى أخطار (آجلا).[1]

إن الفلسفة اليوم غير واضحة , و تعاني أكثر خاصة في مجال الطب و البيولوجيا و في هذا الصدد , يعطي داغوني مثالا لبيان هذه الصعوبة بطرحه لهذا السؤال : لماذا نلجأ إلى الإجهاض ؟ الإجهاض عملية قتل, قتل جنين . الطبيب يبرر ذلك , إما بقوله أن الجنين محكوم عليه بالموت بعد الولادة و من الأفضل حسم الأمور من الأول .أو يبرر ذلك بأن االجنين ينمو نموا غير عادي , كأن لا يمتلك ذراعين مثلا و لكن كيف لو كان الجنين ينقصه ذراعا واحدا ؟ هنا , علينا أن ندرك أن وضع الحدود لتعيين ما لا يطاق , وما يمكن تحمله.

هذه مهمة الفيلسوف , الذي عليه يتوقف المستقبل . يقول داغوني : " يوم دخلت البيولوجيا حلام الحياة أصبحت تثير تساؤلات أخلاقية . فالمشكلة الأخلاقية توجد تماما في قلب البيولوجيا المعاصرة "[2]

كما يدعو الفيلسوف داغوني إلى تدخل الدولة التي تحرص على تنفيذ كل الأحكام و القرارات المتعلقة , أو ما يسمى بإقامة سياسة بيولوجية bio politique و هي فكرة أشار إليها الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو Michel Foucault 1984/1926 و هو يضع توجيه الحياة و تنظيمها , في صميم السياسة العصرية الغربية يقول " لأول مرة في التاريخ , من دون شك , يفكر البيولوجي في إطار سياسي ".[3]

إن السياسة و تدخل الدولة في المجال البيولوجي و في توجيه الحياة , له أهمية قصوى يمكن توضيحها من خلال موقف دومينيك لوكور في معجمه , Dictionnaire de la pensé Médicale و الذي يعتبر

[1] Ibid,p.170

[2] La question morale se trouve bien au cœur de la biologie moderne .François Dagognet,le vivant,p.159

[3] Dominique le court (sous la direction) , Dictionnaire de la pensée médical,p.177

توضيحا لكيفية تحول الحياة إلى رهان أساسي في نشاط السياسيين , و خاصة في التصور السياسي لها , سواء في معالجة المواطنين أو الأفراد كحالات خاصة .[1]

ينتهي الفيلسوف إلى أن هناك مبدآن لا يقبلان النقاش في نظر الفيلسوف , أولا ان نمنع تجريب الإنسان على الإنسان , وحمايته من كل ما يمكن أن يتلف أساسه البيولوجي , حتى في حالة التجارب من أجل أهداف علمية أو لأغراض علاجية , و ذلك بالدفاع عنه ضد كل المخاطر التي تهدده , خاصة التي تتعلق بالتجارب المباشرة عليه ثانيا : علينا ان نحافظ على إرث الحياة , و رفض كل ما من شأنه أن ينقص من قيمتها . و الأكثر من ذلك حماية الكائنات الحية من حيوانات و نباتات مهددة , و عدم إتلافها من غير فائدة باختصار حماية الإنسان و حماية مصلحته . و بعبارة أخرى , حماية الكائن الحي خاصة الإنسان و طبيعته . فحماية الحياة الإنسانية لا تكون إلا في الالتقاء لهذين الشرطين. في الوقت نفسه , شخصية الموضوع , و توازنه البيولوجي الجوهري .و من هنا لا مانع من توظيف التقنيات الطبية.

و محاولة تغيير الحياة و التحكم فيها . فبواسطة علم الزراعة يمكن التغيير في النبات , ويعطي الفيلسوف عن اعمال العالم norman borlaug الذي نال جائزة نوبل للسلام , نتيجة بحوثه حول القمح , التي سمحت له بجعل القمح اللين أكثر صلابة . تحويل الكائن الحي بواسطة الزراعة يبدو في نظر الفيبسوف أسمى أشكال الإبداع الفني .فإلى جانب تحويل الكائن الحي و تغييره , يمكن كذلك و مثلما يحصل في مجال طب الحيوان صناعة كائنات حية جديدة.[2]

[1] Ibid ,p.178

[2] Robert Damien (sous la direction) , François Dagognet , médcin –philosophe – épistémologue;p.p.116/118.

قدم فرانسوا داغوني فلسفة معاصرة تجيب عن أهم القضايا الإبستمولوجية في الوقت الراهن ,إن داغوني من خلال فلسفته أراد يوضح الأساس المعرفي الذي يمكن أن نقيم عليه ابستمولوجيا خاصة بالطب معتمدا على التمييز بين البيولوجيا و الفيزيولوجيا و بين الطب و أهم فروعه الباثولوجيا . كما أن الأفكار التي توصل إليها من خلال البيوإتيقا تتميز بإعتدالها من خلال رفض العاطفة الكلاسيكية التي تمنع البحث في الكائن الحي و تعارض التطورات التي شهدتها البيولوجيا المعاصرة و في نفس الوقت , لم يستهزئ داغوني بالجانب الروحي للإنسان , الذي يمثل كرامة و قداسة الحياة . و هذا ما يحيلنا إلى معرفة مواقفه في أهم القضايا البيبيولوجية التي أثارت جدلا أخلاقيا كبيرا بين التأييد و الرفض.

الفصل الثالث: القضايا الأخلاقية التي اثارتها البيوإتيقا في نظر "داغوني"

المبحث الأول : الاستنساخ و تقنيات زرع الأعضاء.

المبحث الثاني : قضية الإجهاض و تقنيات الحمل .

المبحث الثالث : قضية الموت الرحيم .

إن المسألة الحقيقية التي يطرحها الكائن الحي أو الحياة تنتمي للمباحث الأخلاقية , و إن كانت موضوعا بيولوجيا , ماهو الموقف المتخذ في هذه الحالة ؟ هل يجب وضع حدود علينا احترامها ؟ماهو الخطر ؟و إلى أي حدود يمكن الذهاب ؟ لا شك أن هذه التساؤلات تتجاوز الإطار العلمي التجريبي , و هذا مايبرر أهمية التقييم الأخلاقي للطب و علوم الحياة Bioéthique لأنه و حسب نظرتنا , فإن موضوع الكائن الحي من المباحث الفلسفية التي كانت دوما تضعه في صميم اهتماماتها و تحليلاتها . و هذا ما يجعلنا نحلل مواقف فرانسوا داغوني لقضايا بيولوجية أثارت تساؤلات أخلاقية عظيمة , وهذا ما يتناوله الفصل الأتي : ما موقف فرانسوا داغوني من المسائل البيولوجية المعاصرة كقضية زرع الأعضاء , الإجهاض , الموت الرحيم ...الخ؟ أو بمعنى أخر ماهي النزعة البيوإتيقية عند فرانسوا داغوني ؟

المبحث الأول : الاستنساخ و تقنيات زرع الأعضاء

1_ماهو الإستنساخ ؟

لعل الاستنساخ _ كتجربة علمية _ لا يقل أهمية عن _ التجربة النووية _فكلتا التجربتين يمكن ان ترتفعا بالإنسان إلى أعلى سلم الرقي , أو تهبطا به إلى الدرك الأسفل .[1] " **يضعنا الإستنساخ أمام مأزق و هو أن نقرر ما إذا كنا سنصبح عبيدا لتقدم غير محكوم و تكنلوجيا غير ملجمة و بالتالي لخطاياها... أم أننا سنستمر أحرارا نواجه تقنياتنا لتعزيز كرامتنا الإنسانية (ليون كيس LEON KASS)** "

الاستنساخ كتقنية علمية , تختلف النظرة إليها بين المجتمع الغربي على أنها إمكانية علمية يمكن أن تحدث في أي وقت , يراها مجتمع عالم الجنوب , و كعينة منه , المجتمع العربي , على أنها فكرة بعيدة عن التطبيق و ذلك راجع ربما لاتساع الهوة بين المجتمعين من حيث الثقافة العلمية و مسايرة التطورات التكنلوجية .

و الإستنساخ هو " في الحقيقة ظاهرة قديمة في عالم النبات في غطار ما يعرف بالإفتسال "bouturage" و هو مقابل الكلمة الإغريقية "klon " التي اشتقت منها كلمة "clonage" ..و لم تحتل هذه الظاهرة بؤوة الاهتمام العالمي إلا بعد نجاح الفريق العلمي الاسكتلندي بقيادة " يان و لموت " welmut ian سنة 1996 في استنساخ النعجة الشهيرة دولي .[2] و يكون الاستنساخ بذلك قد طبق أولا على النبات و كانت أولى تطبيقاته على الحيوانات ياستنساخ النعجة دولي من خلية مأخوذة من النعجة المستنسخة , و هي عملية تهدف إلى " إيجاد نسخة طبق الأصل عن كائن ما من الكائنات الحية , نباتا أو حيوانا أو إنسانا .

و بعد استنساخ "دوللي" , توالت التجارب , فاستنسخ الخروف "موللي "فالعجل "جيفرسون" _شباط 1998- و العجل الأنثى "مارغريت"(المعهد الوطني الفرنسي للبحث الزراعي : آذار 1998) . كما استنسخ الباحثون الأمريكيون و على رأسهم "جايمس روبل" Robl و "ستيف ستايس" Stice)

[1] محمد صالح المحب , حول هندسة الوراثة و علم الاستنساخ . الدار العربية للعلوم ص180.

[2] عمر بوفتاس . البيوتيقا .إفريقيا الشرق , الدار البيضاء , المغرب , د.ط. 2011. ص306

من مزرعة (Advanced cell technology أيار 1998 أربعة عجول متطابقة , و قد بقي منها ثلاثة على قيد الحياة و هي بصحة جيدة.[1]

و الاستنساخ الانساني هو" ايجاد نسخة طبق الأصل عن الإنسان نفسه بأخذ خلية جسدية من جسم ذلك الإنسان , ثم أخذ نواة هذه الخلية و زرعها في بويضة امرأة بعد إفراغ هذه البويضة من نواتها , بعملية تشبه التلقيح أو الإخصاب الصناعي يتم بموجبها إدخال نواة الخلية التي أخذت من جسد ذلك الشخص , داخل البويضة المأخوذة من المرأة بواسطة مواد كيماوية و تيار كهربائي معين و لكي تم دمج نواة الخلية مع البويضة و بعد إتمام عملية الدمج تنقل البويضة التي دمجت بنواة الخلية إلى رحم امرأة لتاخذ بالتكاثر و النمو و الانقسام و التحول إلى جنين كامل" .[2]

و قبل إيضح موقف **داغوني** من الاستنساخ نتطرق أولا إلى التقنيات التي تستخدم في الاستنساخ و أهم التساؤلات الأخلاقية و الابستمولوجية التي يطرحها .

1_ الاستنساخ الجيني :" شطر الجنين " "clonage génique "

من المعروف أنه يحدث شطر الجنين بصور طبيعية في حالة التوأم المتطابقة , و تم لأول مرة فصل جنين بشري في المخبر عام 1993 , و أفضل تسمية لشطر الجنين هي " فصل الفلجات " حيث يتم بشق بويضة مخصبة إلى شطرين أو تقسيم الجنين المبكر , حيث يكون مكون من عدد قليل من خلايا التكوين الجيني , اي تقريبا من (2_16) فلجة . و هذا لا يعتبر استنساخا بمعناه الحرفي , حيث أنه يتم في مراحل جينية مبكرة , و بالتالي لا يوجد هنا فرد بعينه سيتم تخليق نسخ منه , فكل خلية او "مجمع خلايا" منفصلة قادرة على إعطاء جنين كامل مستقل لأن هذه الخلايا المنفصلة تحتفظ بقدراتها الكاملة مثلها مثل البويضة , فتتصرف كأنها الخلية الأم , و توضع

[1] انظر : المرجع السابق , ص174.

[2] عبد القديم زلوم , حكم في الاستنساخ . نقل الاعضاء , الاجهاض , اطفال الانابيب , اجهزة الانتعاش الطبية الحياة و الموت , ط1 , 1997 , ص05/:http .

بعدها الأجنة في رحم الأم أو أمهات مختلفات , ينتج عن هذه العملية تطابقا بنسبة مئة بالمئة (توأم متشابهة) لأنها تتقاسم كل ال د ن أ DNA بما في ذلك د ن أ الميتاكوندريات (ADN Mitochondrial) .

2_ الاستنساخ غير الجنسي التكاثري : هو استنساخ بهدف التكاثر , و تعتمد هذه الطريقة على وضع نواة خلية جسمية تحتوي بالطبع على العدد المزدوج من الكروموزومات (N2) (خلية جلدية مثلا)

داخل بويضة منزوعة النواة لتحل نواة الخلية الجسمانية محل نواة البويضة , يتم تحفيز البويضة لتبدأ عملية الانقسام لتكوين الجنين ثم الفرد المتكامل , في البدأ تتكاثر الخلية الناتجة عن هذه العملية لتتحول إلى مرحلة البرعمة الكيسية BLASTOCYTE المتكونة من الأدمة البرعمية Blastodermie و هي خلايا كاملة القدرات تسمى "الخلايا الجذعية الجنينية " يمكنها النمو و التكاثر و التخصص لتكون جنينا كاملا .

3_ الاستنساخ اللاتكاثري : و يسمى أيضا الاستنساخ العلاجي و هو لا يهدف إلى إنتاج كائن كامل , بل تكوين جنين مستنسخ بطريقة نقل النوى حتى طور البرعمة الكيسية Blastocyte للحصول على الخلايا الجذعية الجنينية.[1]

و من الناحية العلمية للإستنساخ بعض الفوائد , من حيث أنه يمكن من الحصول على انسجة و خلايا جذعية توظف لبعض العلاجات و هو امر في صالح صحة الإنسان , و توظف هذه التقنية في إنتاج الأدوية , مثل البروتينات الثديية : التي يتم استخلاصها من حليب الماعز المعدل وراثيا و على مستوى الاستنساخ الحيواني و بالضبط حيوانات المزرعة , إذ "تزداد فوائدها بالمزاوجة مع عمليات التجويد الوراثي المرتبطة بالهندسة الوراثية و تحسين السلالات الحيوانية و إنتاجيتها .[2] و في إطار هذه الإيجابيات التي تثبت هناك من يتحدث عن دواعي علمية

[1] أنظر : عبد الكاظم العبودي , أخلاقيات البحث العلمي أطروحة لنيل درجة الدكتوراة في الفلسفة , مرجع سابق , ص 126.

[2] أنظر : عبد الكاظم العبودي , اخلاقيات البحث العلمي , مرجع سابق , ص127.

تستدعيها الاستنساخ , إذ "هناك عدة حيوانات مهددة بالإنقراض لأسباب عدة , فإذا ما نجحت عملية اسنساخها نستطيع ازدياد عددها فتنجوا من الانقراض "[1] .

أو حتى التغلب على التلوث بالإستنساخ المزيد من بذور الأشجار ذات الأوراق الدائمة الخضرة أو المقاومة للحشرات و الجراثيم و الأمراض أو ذات المنافع الطبية المختلفة ".[2]

و رغم هذه الفوائد العلمية من الاستنساخ إلا أنه يعرض الكثير من المخاوف أقواها هو إمكانية إستنساخ الإنسان . و هو مايقر به العالم الكبير " ليدربرج" بقوله " لقد أجريت بالفعل على حيوانات برمائية و ربما هناك من يجريها في الوقت الحالي على الثدييات , و لن يدهشني أن أعلم في أي يوم منذ الآن بحدوثها . أما متى ستتوافر لدى شخص ما الشجاعة لتجربتها على الإنسان . فليس لدي أي فكرة على ذلك , و لكني أستطيع أن أضع سلما زمنيا تبدا درجاته من الصفر , أي منذ هذه اللحظة , و تنتهي خلال خمسة عشر يوما , ليحدث ذلك عند أي درجة من درجات السلم . أي خلال فترة 15 عاما أي قبل حلول العام 2000..."[3]

يطرح الإستنساخ قضايا أخلاقية جد حساسة : حيث انه إذا ما نجحت عملية تطبيقه , فهل معنى ذلك أن يدخا الإنسان دائرة الحيوانات غير العاقلة و يستنسخ كما استنسخت النعجة دولي ؟

و حيوانات المزرعة المعدة للإستهلاك ؟ هل سيفقد الإنسان معنى قدسيته ككائن روحي أخلاقي , سيد للكون و لجميع الكائنات ؟ ثم هل من الممكن تصور معنى إنساني و حضاري و تربوي لأسرة المستقبل في ظل شيوع فكرة الإستنساخ ؟ أم أن ذلك سيكون إيذانا بزوال مؤسسة تربوية أخلاقية و روحية الأسرة ؟ . و بالرغم من عدم حدوث استنساخ البشر على أرض الواقع يجعل الحديث عنه كله افتراض , إلا انه أمام كل هذه الخطورة التي يشكلها لا يجب استبعاد فرضية حصوله التي يؤكدها الكثير من أساطين البحث البيولوجي .

---

[11] الاستنساخ , ابحاث ندوة المجلس الإسلامي الأعلى , الجمهورية التونسية , الوزارة الاولى , جوان 1997.شركة فنون الرسم و النشر و الصحافة ' القصبة , تونس , ط1 . 1998.ص 45.

[2] عمر بوفتاس , البيوتيقا مرجع سابق , ص315.

[3] نقلا عن : سعيد محمد الحفار , البيولوجيا و مصير الإنسان , عالم المعرفة , الكويت , ط1 , 1984 , ص113.

و قد يزداد الأمر أكثر خطورة و شدة عندما نرى موقف المدافعين عن الاستنساخ من العلماء البيولوجيين , ففي لقاء حول هندسة الوراثة في لندن , تكلم العالم "هالدين" عن "إمكانية خلق أنماط من البشر مهيأة لاستكشاف الفضاء " من خلال التعديل الجيني و التطعيم الذي يجعله يقاوم الفارق بين البيئتين من جاذبية و حرارة و الضغط الجوي و تركيب الهواء و الإشعاع , و بأنه إذا لزمت الحاجة فإنه إمكانية إنتاج أناس ذوي ذيول إمكانية قابلة للتحقق و يمكن تطبيقها .[1]

" أما العالم البيوفيزيائي الشهير الدكتور "روبرت سينشير " وضع التحدي بصورة أخرى , مخاطبا المؤتمرين بالقول : " كيف ستختارون شكل التدخل في تكوين الطبيعة القديم للإنسان ؟ هل تحبون أن تتحكموا في جنس مواليدكم ؟ سيكون لكم ذلك حسبما تشاءون , فهل تفضلون أن يكون طول أبنائكم ستا أو سبعا أو ثماني أقدام ؟ ما الذي يثير قلقكم ؟ هل هي أمراض الحساسية أو السمنة ؟ أم أوجاع المفاصل , كل هذا سيكون مقدورا عليه , كما سيكون هناك علاج وراثي للسرطان و مرض الداء السكري و غيرها , و سيكون من السهل اليسير التغلب على جميع الأمراض الميكروبية و الفيروسية , و حتى الأنماط القديمة للنمو و النضج و الشيخوخة سوف تكون تحت سيطرتنا , نخططها و نتحكم فيها كيف نشاء , إننا لا نعلم أن هناك حدودا حقيقة للعمر , تقف عندها الحياة , فكم تحب أن تعيش ؟ "

التهويل و ليس بغرض التهويل يرى العالم " **نيفاكش**" أن القوى الرأسمالية تحتاج إلى عباقرة لدعم مشاريعها العلمية و التقنية و أنه لن تتردد أي دولة في تصنيع سلالات من الأفراد العباقرة و يعتبر الاتحاد السوفياتي من الدول القادرة على تحقيق ذلك من الناحية العلمية بحسب نشاطاته في حقل "هندسة الجينات".[2] و أمام هذه التصريحات يصاب القارئ بالذهول أمام قوة و حماس هؤلاء العلماء البيولوجيين و إيمانهم بعدم وجود حواجز تمنع حقلا معينا من البحث و التطبيق في البيولوجيا.

[1] أنظر المرجع السابق . ص.ص .117/116

[2] نقلا عن المرجع السابق , ص.ص.118/119

و في نفس السياق يعتبر الباحث الأمريكي" **ريتشارد سيد** " "Richard seed" من اللذين أثاروا ضجة على الساحة الأمريكية و العالمية بإعلانه لأول مرة عن إنشاء عيادة لإستنساخ الإنسان , و كذلك المتخصصة في الكيمياء الفرنسية "بريجيت بواسولييه" Brigitte Boisselier , أسقفة الرائيلية الفرنسية التي تستقر بكندا فقد صرحت علنا في مؤتمر دولي حول الإستنساخ بواشنطن عن إنشائها لشركة خاصة لاستنساخ الإنسان , تحت إسم "كلود إيد" "Clode aide " , حددت سعر استنساخ الفرد بمائتي ألف دولار .[1]

و في هذا السياق لا يمكن إغفال طبيب النساء الإيطالي " سفيرنيو أنتينوري" Antinori Seviorino و هو أستاذ يدرس فيزيولوجيا التناسل بجامعة Tovergata بالعاصمة الإيطالية , و يعتبر من أبرز المدافعين عن الإستنساخ البشري , و ذلك منذ أن نجح سنة 1994 في تمكين امرأة تبلغ من العمر 63 ستة من وضع طفل حملته بواسطة استفادتها من تبرع بالبويضة .[2]

و الواقع انه في بعض الأقطار –بريطانيا على سبيل المثال–يعد استنساخ الكائنات البشرية من الأمور المخالفة تماما للقانون , كما أنه غير قانوني أيضا في الولايات المتحدة . في إسكتلندة دعت الحكومة البريطانية وزارتها للزراعة إلى أن تتنحى عن تمويل بحث "ويلمت" في الاستنساخ , فجرى تقليص ميزانيته التي تبلغ 411 ألف دولار غلى النصف في نتصف أبريل 1997, و كانت سوف تنتهي في أبريل 1998.[3]

و في إطار السلبيات التي يثيرها الاستنساخ , يشكل على المستوى الحيواني و النباتي حالة من التعذيب و التشويه للمادة الحية المستنسخة , و مثال ذلك يظهر في التكرار الذي يكون قبل عملية الإستنساخ , و إذ أن استنساخ النعجة "دولي" مر ب 266 محاولة فاشلة .[4] إضافة إلى الاستنساخ العلاجي الذي يقوم على الحصول على خلايا جذعية و أنسجة يمكن أن تزرع في أي جزء من جسم الإنسان أصيب بخلل أو مرض معين , و لكن لهذا

[1] أنظر : عمر بوفتاس , البيوإتيقا , مرجع سابق , ص334.

[2] المرجع السابق , ص317

[3] ديفيد ب. رزنيك ,أخلاقيات العلم , تر : عبد النور عبد المنعم ,عالم المعرفة ,المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأداب , الكويت , 2005.ص26

[4] المرجع السابق ,ص.ص.323/322

الغرض يستخدم الأطباء البيولوجيين أجنة في بداية تكونها Embryons , كل واحد منها يمكن أن يصبح جنين متطور و يولد كطفل , و هو أمر يطرح مشكل أخلاقي لأننا بذلك " أوقفنا حياة كانت ستظهر بقتل جنين لأجل إنقاذ حياة أخرى بتأخير الموت عنها بعلاجها .[1] و معارضة هذا الأمر يقوم كموقف أخلاقي يعبرعن اتجاه يسعى إلى حفظ كرامة و قدسية الإنسان و إعادة الطابع الروحي الكلاسيكي له , و هذا كان موقف اتخذه الكثير من الإبستمولوجيين أبرزهم "**فرانسوا داغوني**" .

[1] Garcia Victor,Mailland Quentin, robert antoine, Thiery Florian,le clonage thérapeutique,master sciances de l'environement,du territoire et de l'économie, sous la direction de François Régis mahieu,année universitaire 2009_2010,p05.

2_ موقف فرانسوا داغوني من الإستنساخ .

يسجل داغوني ثلاث حدود للتدخل التقني في الكائن الحي , و عدم تجاوزها :

1_ علينا أن نحافظ على تنوعه .

2_ أخذ بالإعتبار تركيبه و تعقيده .

3_ إنقاذ الإنسانية .[1]

يرى **داغوني** , أنه من الأجدر أن نترك الحياة ما هو مهم من حريتها . لأن التحكم فيها باستمرار , يؤدي إلى تفقيرها . و التقليل من قيمة الإنسان في الوقت نفسه . يعتقد الفيلسوف في هذا المجال أن هناك ثلاث بحوث جارية اليوم _ إلى جانب ما سبق ذكره _غير مقبولة أخلاقيا .**الأخلاق في كل مرة تنصح البيولوجيا حتى لا تكون مفرطة** . هذه البحوث الثلاث هي :

إن داغوني يعارض الاستنساخ لأنه يهدف إلى الحفاظ على النوع كما هو , ذلك لأنه يؤدي إلى تفقير الكائن الحي المحكوم عليه بالإعادة فقط ,إننا بهذه الطريقة نحبس و نوقف الكائن الحي (هذا من دون شك يخالف نظرة الفيلسوف له , من حيث أنه يتميز بالتغير و الفردانية . بل الأكثر من ذلك , من يدري أم الامر يتعلق بنوع من التحكم في الجنس البشري . و هذا ما يعارضه بشدة . فالمطلوب إذن هو تصليحه و تغييره.

2_ هناك بعض التدخلات ينبغي رفضها ليس لاعتبارات أخلاقية , و لكن عدم التنبؤ بنتائجها , خاصة البحوث التي تهدف إلى تحسين النوع الإنساني *eugénisme بالنسبة للفيلسوف هذا خطأ إن لم يكن رعب لأننا لا نعلم أي إنسان ننتظر . هذه التقنية و كل ما يؤدي إليها يعارضها الفيلسوف بشدة لأن هذه العملية في نظره

[1] Robert Damien (Sous la direction); François Dagognet ; Médcin_philosophe _épistémologue;p.19.

* eugénisme الهدف من هذه التقنيات _تقنيات التحكم في الولادة –هو تحسين الجنس البشري .

_François Dagognet , le vivant,p.179.

تهدف إلى الانتخاب و هو أمر مرفوض أخلاقيا , و من مظاهره , الزواج بين أشخاص بينهم توافق جيني compatibilité génétique .

لا ننكر بأن هذا الإجراء يكون قد قام به **أفلاطون** من قبل , و قد اعتبره حلا , و وسيلة لربط القوي بالضعيف . و إلا تعرضت الدولة للذوبان . فحين يتجمع الضعفاء فهم لا يلدون إلا ذوي الورع , الملتزمين . و حين يتزاوج الأقوياء فيما بينهم , فهم لا يلدون إلا العجم . و هذا يقتضي شيئا من التوجيه و الترويض و التحكم , في كل منهما . ينبغي إذا اكتساب القدرة و المرونة على ربط الطرفين .

لقد أخذ الأمريكيون بدورهم هذا النظام (نظام تجمعات) . حتى يتجنبوا الاضطراب و عدم التوازن البيولوجي , أو التكاثر المختل . فهم لا يمنعون من التزاوج بين المرضى , و لكن يمنعون الولادة فيما بينهم . إن قضية الصحة هي قضية الدولة.

من المشاريع التابعة لتحسين النوع الإنساني , ذلك الذي يتعلق باختيار جنس الطفل قبل الولادة , يتساءل الفيلسوف ,عن السبب الذي يجعلنا نتحمل عائلة غير متزنة. لماذا لانعمل على التنوع في الجنس ؟ و نقاطع بين الذكر و الأنثى ؟ يكفي التحكم في طريقة , الإخصاب بواسطة مني الزوج I A C , و ذلك بعزل الخلايا التي تتسبب في إنجاب أنثى بهذه الطريقة أو أن الخلايا الأنثوية تحمل مرضا , يمكن التخلص منها و بالتالي لا ننجب إلا ذكورا . و لكن مهما يكن فالحياة , في نظر الفيلسوف , أثبتت نجاحها , لماذا نريد استبدالها ؟.[1]

3_ من التقنيات التي تهدف إلى تحقيقي المصلحة الشخصية ما يتعلق بالزوج الشاذ جنسا و الذي يريد طفلا , العملية تتم عن الطريق أخذ بويضة من كلا الزوجين , ثم يتم تلقيح إحداهما بأخرى , ثم توضعان في رحم إحداهن , حتى يتم الحمل , لطفلين في الوقت نفسه . أجريت هذه العملية على الفئران , سنة 1977 م يرى الفيلسوف , هنا باننا نخل بعملية الإخصاب . لأننا من جهة لا نولد إلا الاناث التي لا تعرفن إلا أمهاتهن و من

[1] LaVie à assuré son succès,pourquoi vouloir la remplacer ? –François Dagognet ; Le Vivant,p.p179.180.

جهة أخرى الحد من إمكانية التنوع و هو أحد معطيات الحياة الإنسانية , و الذي نخضعه في هذه الحالة للمصلحة الشخصية .

إن هذه المحاولات الثلاث , الاستنساخ , و اختيار جنس الطفل مسبقا , و تلقيح بويضة بأخرى .لها نتائج غير مقبولة تماما . فمثلما تحاول إبعاد التزاوج بين الذكر و الأنثى و ما ينجم عنه , فهي تعيق الحياة , و تضرب في نفس الوقت الفرد و المجتمع.

و قريب من موضوع الاستنساخ نجد قضية زرع الأعضاء , للفيلسوف **داغوني** تصور حول تقنية زرع الأعضاء و يبدو أن البدايات لهذا التصور كانت معقولة و تتمثل في نقص الأعضاء للزرع من جهة و إمكانية طلبها من عائلة مستعدة للتطوع بجسد أحد أقاربها (ميت) , من جهة ثانية , فالكثير من الأشخاص لم يستفيدوا من تقنية زرع الأعضاء , و هذا راجع لتصورهم للجسم أو الجسد على أنه الكل أو الإنسان , و هذا خطأ في نظر الفيلسوف لأنه مهما كان فالإنسان جسم و روح . لكن الجسم أو الجسد هو موضع فلسفة **داغوني** فكلمة جسد تظهر في كثير من مقالاته و كتاباته , هو موضوع تفكيره حتى إن كان ميتا . لأنه مصدر كثير من المعلومات , و هذا ما يبرر أهمية طب الموتى LaMédcine des morts , أو الطب الشرعي Médcine Légale , و هو مجال يلتقي فيه المجتمع . المشرع و الطبيب.[1]

في سنة 1967 أعلن الدكتور "ريتشاردج" أمام مؤتمر صحفي أن عملية نقل قلب الإنسان سوف تحدث خلال خمس سنوات على الأكثر , و مع ذلك فقبل انتهاء العام 1967 نجح الدكتور " كريستيان برنارد" في عملية نقل قلب إلى تاجر في الخامسة و الخمسين اسمه "لويس واشكانسكي " , ثم تلاحقت بعد ذلك عمليات نقل القلب لتدوي في وعي العالم كسلسلة متعاقبة من انفجارات الألعاب النارية .[2]

Robert Damien (Sous la direction); François Dagognet ; Médcin_philosophe _épistémologue;p 123[1]

[2] سعيد محمد الحفار, البيولوجيا و مصير الإنسان , عالم المعرفة ,الكويت ,نوفمبر 1984 , ص121.

إن فكرة التحكم في الحياة هي كذلك التحكم في الموت لأن من الأفكار التي تهم الفيلسوف فكرة تأميم الأجساد أو ما يعبر عنه هو في كتابه التحكم في الكائن الحي بفكرة "نهاية المقابر " Fin des cimetiéres تقنية زرع الأعضاء هي تصور إمكانية تفكيك الجسد و تركيبه , و هي طريقة لتجاوز حيرة الموت . فالتبرع بالأعضاء هو وسيلة غير طبيعية , و لكنها واقعية , نمكننا من تصور أن الموت أصبح غير موجود و بالتالي تجاوز هذه الحيرة و هي حيرة الموت.

فالحياة قلق لمدى طويل ما دام الموت ينتظرنا . يرى الفيلسوف أنه على الدولة تحمل مسؤوليتها في إنقاذ حياة بواسطة استعمال جزء من جسد ميت . إن شيوعية الجسم تسمح له بالتخلص من الزوال. كما أن توحيد الأجسام بالنسبة إلى الفيلسوف يكون بارتباط هذه الأخيرة ببعضها البعض و الكل في إطار المدينة أو السياسة ,و في هذه الحالة فإن الجسد ليس ملك لصاحبه , إنه رمز للطبيعة الإجتماعية و الثقافية الإنسانية.

تعتبر هذه الفكرة قديمة بالنسبة إلى الفيلسوف, فكرة تأميم الأجسام أو شيوعية الأجسام , و كأنها فكرة صوفية , في نفس الوقت أخلاقية و دينية.[1] إلا ان هذه الفكرة ليست مبنية على اعتبارات أخلاقية بل على الإكراه الإجتماعي و القانوني , ذلك أن مسألة انقاضالحياة لا تستدعي التشاور أو ربط الأمر بحرية الأشخاص , و في هذه الحالة يعتقد داغوني أن الناس ليس لهم استعداد للتنازل عن أجسادهم لغيرهم.

[1] Ibid,p.p.123_125.

المبحث الثاني :موقف "فرانسوا داغوني" من قضية الإجهاض و تقنيات الحمل

1_ المشاكل الأخلاقية التي تطرحها قضايا الحمل المساعدة و الإجهاض.

إن السيطرة على الإنجاب تستلزم إعادة تعريف المسؤولية ضمن تنظيم أخلاقي حياتي , . فمن منع الحمل إلى التلقيح الصناعي (و هو أحد أشكال PMA للإنجاب المدعوم طبيا) يتغير وجه الولادة . و لئن سخر بعض الناس من الأخلاق الحيلتية للإنجاب الصناعي , أفلا يجب على العكس , أن نفكر بأن الأخلاق الحياتية تجد هنا حقلا أعظم للتفكير ؟ ألا يجب إقامة جملة مبادئ تحدد صنوف التجريب و الممارسات الذائعة ؟[1]

ترتبط القضايا الأخلاقية التي أثارتها البيولوجيا المعاصرة , بتقنيات الحمل المساعدة, و المتعلقة بأطفال الأنابيب و التلقيح الصناعي خارج الرحم, بنوك الأجنة ..الخ . و تطرح هذه القضايا حاليا مشاكل أخلاقية و إبسنمولوجية حادة , نظرا لأنها تختلف مثلا عن مشاريع الاستنساخ في أنه لم يصل فيه العلماء إلى الذروة . إذ مازال البحث يحتاج إلى عمل أكثر و اكتشافات أخرى بينما تقنيات الحمل المساعدة تجري اليوم بشكل عادي , و الطلب يزداد عليها يوما بعد يوم , برغم ما تثيره في كثير من تفاصيلها من إحراج أخلاقي لكل إنسان .

لقد بحث علماء البيولوجيا و الأطباء عن الأسباب المؤدية إلى العقم , الذي اعتبر معضلة تتسبب في حرمان الكثير من النساء من عاطفة الأمومة , و رغم لجوء البعض منهم إلى حل التبني فإن العقم تسبب في كثير من الأحيان بانفصال و تشتت العائلات.و لقد توصل علماء البيولوجيا و الأطباء إلى تحديد العوامل الرئيسية في عقم الرجل أو المرأة و الأمل في تجاوز هذه الأمراض التي تعد عقبة أمام الإنجاب و التكوين فتح الباب أمام إمكانيات البيولوجيا المعاصرة في هذا المجال , و بفضل تقنيات الإنجاب المساعد طبيا توفرت مثلا إمكانية التلقيح خارج الرحم بماء الزوج إذا كان سبب العقم في الزوجة , أو بماء متبرع مجهول إذا كان سبب العقم هو الزوج , و هي إمكانية وفرتها

[1] جاكلين روس . الفكر الأخلاقي المعاصر,تر : عادل العوا ,الطبعة1 , عويدات للنشر و الطباعة .بيروت , لبنان .2001 . ص112.

بنوك الحيوانات المنوية و بنوك الأجنة التي أصبحت الأن موجودة في عدة أماكن من العالم لمساعدة الأزواج الذين يعانون من العقم ,

و لأغراض بحث بيولوجية .و من بين التقنيات المساعدة في الحمل تقنية الإخصاب الصناعي , حيث أنها عملية يطلق عليها اسم "طرق الحمل المساعدة طبيا " (La procréation assisté) .

و تم هذه التقنية عن طريق عدة أشكال يتم تطبيقها من طرف الأطباء البيولوجيين .

أول هذه الأشكال يكون بتلقيح بويضة الزوجة خارج الرحم بمني الزوج و هو ما يعرف بالإخصاب الصناعي في نطاق الزوجية Insémination artificielle inta_conjugale , بهدف إنجاح عملية التلقيح و الإخصاب و تجاوز حالات العقم .[1]

و هذه العملة لا تثير إحراجا كبيرا على المستوى الأخلاقي , لأنها لا تطال الكرامة الإنسانية و الإحترام الواجب حفظه للإنسان , طالما أن عملية الإخصاب المساعدة هذه تتم في إطار الزوجية , أي أن خلاصة كل ما يحصل يبقى في إطار الزوج بزوجته بمساعدة طبية . و لذلك نجد أن حتى علماء الفقه الإسلامي لا يحرمون هذه العملية من الناحية الشرعية .

من جانب أخر فإن هناك طريقة ثانية للتلقيح الاصطناعي , انتشرت حاليا بشكل واسع و خاصة في أمريكا و اوروبا , تثير الكثير من الحرج و التساؤلات الأخلاقية , تحدث بنفس الطريقة السابقة إلا أن المني الذي تلقح به بويضة الزوجة ليس من زوجها بل من متبرع يتم اللجوء إليه لقلة الخصوبة لدى الزوج (ليس لديه حيوانات منوية Azospermia أو أن حيواناته المنوية قليلة الحركة أو مشوهة) .[2]

و هذه التقنية تطرح عدة تساؤلات أخلاقية و إنسانية و كذلك تعقيدات على المستوى النفسي و الإجتماعي بالنسبة للمولود , و أسئلة من نوع من سيكون الأب الحقيقي للوليد الذي ولد بطريقة التبرع التبرع بالمني

[1] انظر : عمر بوفتاس . البيوإتيقا , مرجع سابق , ص224.

[2] أنظر : محمد علي البار ,(القضايا الأخلاقية الناتجة عن الإنجاب) , ملتقى القضايا الخلقية الناجمة عن التحكم في تقنيات الإنجاب , مطبوعات أكاديمية المملكة الغربية , الدورة 01 ' أغادير , نوفمبر1986 , ص69

من الناحية القانونية , و الشرعية و كذا الإجتماعية ؟ و هل سيتم إختبار الولد بأنه ولد عن طريق إخصاب صناعي بمشاركة متبرع بالمني مجهول؟ أم أن التستر هو الحل الوحيد لحفظ هذا الطفل من الإضطرابات النفسية و الإجتماعية ؟ في نفس الإتجاه يرى المفكر "محمد عبد العزيز لحبابي " في تدخله في الملتقى الأول حول الإستنساخ . المنعقد في المغرب و المعنون ب " من أجل الشخص : تأملات في الإنجاب الصناعي " , أنه في كثير من الأحيان ما يكون هناك تعارض بين الطبيعة و بين الحضارة الإنسانية و الثقافات الوطنية , أي بين الجانب الطبيعي و المكتسب في الإنسان, و هنا يجد الإنسان نفسه حائرا أمام من يطيع الجانب الطبيعي L'innée فيه أم المكتسب L'Acquis ؟

و في محاولة الإجابة يرى لحبابي بأن الموافقة و الموازنة بين الجانبين أمر ضروري , لأن كلا ن الجانبين الفطري و الطبيعي , و المكتسب الثاني يكونان الشخص أو الإنسان , و هذه الضرورة تصبح ظاهرة إذا ما تأملنا مثال االوحدة الذي يتم في التوافق بين الجسد و الأنا الشخصية .[1]

و لكن يجب التأكيد على أن هذا التوافق و إن كان مطلوبا فإنه لا يمكن [بأي حال من الأحوال أن يكون على حساب الجانب الطبيعي الفطري في الإنسان و هنا يعد الفيلسوف الفرنسي **"جون جاك روسو"** رائدا في مجال فكرة تغيلب الجانب الفطري الطبيعي في الإنسان على الجانب الثقافي لأن الحضارة حسبه أفسدت الفرد بطريقة تدريجية مباشرة و غير مباشرة.

و في إطار الإخصاب الصناعي توجد تقنيات أخرى أثارت ضجة في الأوساط العلمية و الفلسفية , و هي تقنية سمحت لبعض النساء اللواتي بلغن سن اليأس أو اللواتي يعانين من قلة الخصوبة بالحصول على طفل , و هي حالة "روزانا ديلاكورن"البالغة الثلاثة و الأربعين عاما , و التي زرع الدكتور النسائي الإيطالي " أنتينوري " في رحمها بويضة امرأة بماء زوجها . و هي نفس الطريقة التي ولدت بها البريطانية " اندري جينيفر " توأمين و هي في عامها التاسع و الخمسون و أخرى في سن الواحد و ستون سنة .

[1] Mohamed aziz lahbabi , pour la personne : réflexion sur la fécondatiion artificielle,
ملتقى القضايا الخلقية الناجمة عن التحكم في التقنيات الإنجاب , مرجع سابق , ص.ص.59_60.

و لكن هناك في الأوساط العلمية من ينظر إلى أعمال الطبيب الإيطالي على أنها تطرف , إذ أحدثت فضيحة في الاوساط العلمية و الطبية لأن تعريض حياة امرأة كبيرة في السن و غير قادرة على تحمل مشاق و صعاب الحمل و الإنجاب للموت أمر يتنافى مع الدين و الأخلاق .[1]

بالإضافة إلى تدخلات طبية أخرى كأن تكون الزوجة لها مبيض سليم , و لكن رحمها قد أزيل بعملية أوبه عيوب خلقية شديدة بحيث لا يمكن أن تحمل و زوجها سليم . و في هذه الحالة تؤخذ بويضة الزوجة و تلقح بماء زوجها , و توضع اللقيحة في رحم امرأة أخرى يسمونها الرحم الضئر , و عندما تلد الطفل تسلمه للزوجين مقابل أجر معلوم[2] و بالتالي المساس بكرامة المرأة الحاملة للطفل و ضياع لحقها في أمومته , كما فيه استغلال لحالة الفقر و الضعف عند كثير من النساء حول العالم. هذه الوضعية تضع الإنسانية جمعاء أمام انزلاق أخلاقي عميق , قد تحدثه هذه التقنية الطبية , لأنه يمكن بمرور الوقت أن تسري عملية استغلال النساء المعدمات من طرف العائلات الغنية , و ربما ليس لتعذر الإنجاب على المستأجرات, و لكن بغرض التخلص من ألام و متاعب الحمل و الولادة , خاصة مع انتشار ثقافة الرفاهية و اندثار معاني الأخلاق و المسؤولية في بعض المجتمعات المعاصرة.

و من المشكلات الأخلاقية التي تستلزم أكثر من أي وقت مضى ضرورة تأسيس أخلاق بيولوجية و طبية قائمة على مرجعية فلسفية و أخالاقية ابستمولوجية صلبة هي قضية الإجهاض , و هو هنا ليس بمعناه الكلاسيكي أي الخوف على صحة الأم و لكن الإجهاض بمعناه الانتقائي , خاصة و أن عملية الإجهاض أصبحت أمرا روتينيا يقوم به الأطباء في كل أمحاء العالم , رغم أن " إجهاض المرأة الحامل محضور قانونا و لا تسمح به الديانات السماوية و لا تبيحه الأعراف الاجتماعية و يستثنى من ذلك الإجهاض العلاجي , حين يشكل استمرار الحمل خطرا على حياة االحامل و يصبح الإجهاض العلاجي هو الطريقة الوحيدة لإنقاذ حياة المرأة".[3]

---

[1] أنظر : كارم السيد غنيم , الإستنساخ و الإنجاب , مرجع سابق , ص246.

[2] محمد علي البار , القضايا الأخلاقية الناجمة عن التحم في تقنيات الإنجاب , ملتقى القضايا الخلقية الناجمة عن التحكم في تقنيات الإنجاب , مرجع سابق ,.ص.70

[3] سعيد الدجاني , أداب الطبابة و حقوق الإنسان , المؤسسة العربية , بيروت , لبنان , ط1 . 1979 , ص25.

هذا أمر ناقشه المنتدى الأوروبي للبيوإتيقا المنعقد في ستراسبورغ في الرابع من شهر فيفري 2012 , و الذي خلص إلى فكرة أن الإجهاض الإنتقائي للأجنة هو بمثابة نوع من الأوجينية كفكرة فلسفية و بيولوجية قديمة , إذ من غير المعقول أن يتم إجهاض جنين مكتمل التكوين , إلا في حالة ظهور بعض التشوهات عليه , و هنا يشير البروفيسور سيكارد Didier Sicard , الذي ترأس اللجنة الاستشارية للأخلاق comité consultatif d'éthique مدة تسعة سنوات , بالقول " إن مبدأ الاحتراز انزلق في ميدان التوليد قاد إلى اختيار الأجنة الذين يسمح لهم بالولادة ...و الآن بالنظر إلى اتساع حجم الجهاز المعد لاكتشاف مرض المنغوليا (Trisomie21) فإن الطفل المنغولي هو بمثابة خطأ طبي لأن عدم اكتشافه و جعله يولد هو أمر جسيم ".[1]

يقر المذهب الكاثوليكي المعاصر من أن حرمة الجنين لا تتعين بمرحلة دون مرحلة أخرى من مراحل نموه في رحم أمه و لكن حياة الجنين تبدأ مع منطلق الحمل و هو ما أكدت عليه نتائج عدة لقاءا و ملتقيات دولية منها " إعلان جنيف 1968" , و تقرير الجمعية الطبية و العالمية بأسلو سنة 1970 و "إعلان البندقية سنة 1983" و هي إعلانات و ملتقيات تؤكد على الأطباء حماية حياة الجنين منذ بدايتها و لا يمكن القول بذلك أن مرحلة التعشيش تكتسي حرمة أكثر من مرحلة الإخصاب .

و هذا أمر يرفضه بعض المدافعين عن الإجهاض بدون قيد أو شرط , بدليل أن للوالدين حق التصرف في الأجنة التي يمتلكونها , و أن صفة الشخص التي تتعلق بها معاني القداسة و الإنسانية إنما تتكون في مراحل تأتي بعد الولادة و ليس قبلها .[2]

و لكن من المفروض أن تستغل التطورات البيولوجية في زيادة الفيمة الأخلاقية المادة المدروسة "الإنسان بصفة خاصة " و لكن لما يصبح توظيف تقنية " الكشف الطبي قبل الولادة" في إجهاض أجنة في مراحل مختلفة من الحمل

[1] L'enfant à venir est présumè coupable, il doit prover sa normalité,http/www.toujours enligne.com/36425.

[2] أنظر : عمر بوفتاس , البيوإتيقا , مرجع سابق , ص218.

بسبب جنس الجنين (ذكر أو أنثى) لبعض التشوهات التي يحملها , فإن ذلك يعتبر انتهاكا حقيقيا لحقوق الإنسان التي نصت عليها الشرائع السماوية و المدنية .

يظهر هذا الانتهاك كذلك في الأوجينة التي يتم إحياؤها اليوم بصبغة جديدة . عبر عنها البروفيسور سيكارد في ملتقى ستراسبورغ المنعقد العام المنصرم بالقول " نرفض الأوجينة الجماعية المنظمة , و لكن في التطبيق هناك أوجينة فردية , سيكون هناك حتما اختيار للأطفال الذين سيولدون , الطفل القابل رميه على الأبواب ..."[1]

و المقصود بالأوجينة في هذا السياق هو الهروب من ماهو طبيعي فيما يتعلق بولادة الأطفال بإكسابهم لصفات وراثية معينة , أو محاولة التحكم في نوع الجنين من خلال إجهاض بعض الأنواع من الأجنة .

يقول فرانسيس فوكوياما " ستطرق الثورة الجديدة الباب الخلفي لليوجينا , لنكون معا ثانية , ستخصص اليوجينا و تصبح ممارسة منزلية .... ستقول التكنلوجيا الجدد للمرأة أن الجنين الذي تحمله سيصاب بهذا المرض أو ذاك , ثم نترك لها و لزوجها الحرية اليوجينية للتخلص من الجنين , مراوغة هذه التكنلوجيا تضعنا أمام مثل هذه الخيارات الصعبة ".[2]

[1] L'enfant jetable est à nos portes,ibid.
http://www.toujoursenligne.com./36425.

[2] فرانسيس فوكوياما , نهاية الإنسان , تر : أحمد مستجير ,الكبعة1 , طبعة سطور , مصر, 2002 ص13

2_ موقف داغوني من تقنيات الحمل المساعدة و قضية الإجهاض:

البيولوجيا أو العلم الطبيعي المتفوق في نظر الفيلسوف داغوني لا يتقدم إلا عبر مراحل ثلاث , تبطل القداسة (قداسة الكائن الحي):

المرحلة الأولى : هي مرحلة البحث التجريبي الذي يعين على معرفة أجهزة معينة و وظائفها .(كالهضم مثلا و التنفس و الحركة) . هذه البحوث , تنتقل مما هو معطى أمامنا , ظاهري إلى ما هو خفي . لا يكون في وسع العالم البيولوجي إلا التأمل و الإعجاب بغنى هذا الجسم و وظائفه .

المرحلة الثانية : و هي الأهم في نظر الفيلسوف **داغوني** , و المتمثلة في إخراج ما هو باطني .

المرحلة الثالثة : فبعد الإكتشاف و التحليل و التحكم في الوظيفة , يمكن عندها التدخل لإيقافها , أو توجيها , تعديلها أو تعويضها و تبديل مراحلها . إن أفضل صورة توضح ذلك , تلك التقنية التي نسميها الإخصاب الصناعي , إن معرفة نظام الحياة كافية , كي يتم تخليصها من كل الاحكام التي ألحقت بها من غير حق , كعدم التنوع , وعدم الإنفصال , و عدم المس في الأخير .

يرى داغوني أن اللجوء إلى الإخصاب الصناعي سببه محاولة التغلب على العقم . لكننا لا نعلم كم هي الحالات التي نلجأ فيها إلى مثل هذه التقنيات , إن هذه التطبيقات في نظر الفيلسوف داغوني , أحدثت زلزالا مع أنها من الأمور التي تعمل ليس فقط على مساعدة الزوج العقيم فحسب بل الوضعيات الأخرى . و لكن في نظر الفيلسوف أن هناك مشكلتين تعترضان هذا العمل مما يؤدي إلى قلة الأمل .الأولى : تتمثل في اعتراض الكنيسة الكاثوليكية لهذه التقنية لأسباب أهمها أنها تمس بمعنى الأبوة , و تنقص من قيمة الزواج . لأننا نميز الأب البيولوجي من الأب الإجتماعي . من جهة أخرى لا يؤدي المتطوع هنا إلا دورا تناسليا _التكاثر_ و هي خاصية حيوانية في نظر الكنيسة تنتمي إلى اهتمامات البيطري , و تنقص من قيمة الإنسان.[1] أما إذا وفرنا الإمكانية للمرأة العازب ,

[1] François dagognet ,l'homme maitre de la vie?,p.211.fbv

فهذا غير ممكن , لأن هذا هجوما على القيم الأساسية . مثل الزواج , النسب , الأبوة , القرابة , التربية , العائلة. يعتقد الفيلسوف داغوني أنه علينا أن لا نستخف بتبريرات الكنيسة .

الثانية : تتمثل في مشكلة أكثر تعقيدا . كانت سببافي إختلاف المشرعين و رجال القانون و حتى الانثربولوجيين . و هي مشكلة الإخصاب الصناعي بعد الموت . فمثلا رجلا يصاب بالعقم نتيجة تناوله لدواء أو تعرضه لأشعة نتيجة علاجه لمرض السرطان مثلا . لكن قبل تلقيه للعلاج . قرر وضع جانبا أو الاحتفاظ ببعض منيه لأجل توسيع و بناء أسرته فيما بعد . و هذا طبعا بالإتفاق مع زوجته . لكنه للأسف يموت الرجل . فهل بإمكان الزوجة أن تطلب عملية الإخصاب الصناعي من مركز حفظ المني c e c o s ؟*الرد من دون شك سيكون بالرفض مع تقديم أعذار مثل : على الحياة أن تأخذ مجراها الطبيعي , و إعادة دفعها من جديد عن طريق الإخصاب الصناعي , بواسطة مني الأب , يثير الحزن لدى الزوجة , و يقتل الأمل . و قد يقال لها , أنه ما دام الزوجان قد انفصلا بسبب موت الزوج , فلا يجوز للزوجة أن تتقدم بمثل هذا الطلب , فهو أمر يتعلق بالزوج كما يتعلق بتواصله ثم , ما هو مصير طفل يلد من أب ميت ؟كيف ينمو ؟ [1]

لا يوافق الفيلسوف على هذه الاعتراضات ما دمنا لا نعرض الحياة للخطر . و عليه , يمكن للأسرة أن تستمر معنويا حتى إن توقفت فيزيائيا , و إلا لماذا نسمح بتبني رضيع تخلت عنه امرأة عازب , أو أرملة .[2] يمكن الإشارة هنا إلى أن المماثلة ليست تامة نظرا لبعد الحالتين , و مع ذلك يستعملها الفيلسوف كحجة لإبطال المعرضين للموقف السابق.

و فيما يتعلق بقضية تأجير الأرحام فإن هذه الصورة القصوى من صور الإنجاب , في نظر **داغوني** , تثير معارضة رجال الدين . لأن الطفل في هذه الحالة و كأنه خرج من معمل معقد , دون أن ننسى قضية المال هنا . لأن الطفل في هذه الحالة و كأنه خرج من معمل معقد , دون ان ننسى قضية المال هنا . لأننا نشتري أو نستأجر رحما .

[1] François Dagognet, L'homme maitre de la vie ? p.112

[2] Ibid,p.113

و نكون بذلك قد وصلنا إلى الطفل السلعة ..L'enfant Marchandise و الأخطر من هذا , إذا تصورنا ولادة طفل مشوه.

فالأبوان اللذان استأجرا الرحم, لا يقبلانه , لأنه غير مطابق للعقد و لا للأوصاف المنتظرة . في هذه الحالة لمن يكون الطفل ؟ هل يكون للمرأة المستأجرة ؟ هل يكون للوالدين اللذين طلبوه ؟ إنها مسألة قانونية , حول طفل مريض بلا مأوى , و لا أحد يرغب فيه.[1]

يعتقد **داغوني**, أن لتبرير هذا الفعل (استئجار الرحم) . نعتمد على مصدر , و هي قصة سارة و هاجر فسارة امرأة إبراهيم عاقر , لا تنجب . و كانت لها خادمة مصرية اسمها هاجر . و لما كان الأمر كذلك , قالت سارة لإبراهيم , إن الله لم يهب لي ولد , فتزوج خادمتي , لعلي أجد السعادة من خلال إنجابها لي طفلا . و تلد هاجر لإبراهيم و يسميه إسماعيل .

إننا نستطيع إلى حد بعيد التخلي عن الأب و الأم , واستبدال أحدهما بطريقة الإخصاب بواسطة مني الزوج I A C .و الأخر بأخذ بويضة , حتى تتم المراحل الأولى للجنين خارج الرحم و هدا ما اطلق عليه اسم أطفال الأنابيب ثم إعادته إلى رحم الأم . بهذه الطريقة نكون قد حاربنا العقم . لكن منطقيا , نكون قد عوضنا بالتناوب , الأب ثم الأم ثم الاثنين معا .

من هذا العرض و هذا المسح الأفقي , يمكن أن نحتفظ بفكرة أن البيولوجي يمكنه اليوم , تعليق , توجيه , مراقبة , تغيير , مثلما يريد و في أي وقت يريد , أي مرحلة من مراحل الإخصاب الصناعي من خلال قدرته على تفكيكها و تفصيلها .[2]

و عليه يعتبر داغوني مجال الإخصاب الصناعي , وزرع الأعضاء أو التقنيات الطبية بشكل عام ,من المسائل الجديدة التي تثيرها البيوإتيك , و التي لقيت تأييدا من التأسيس المشترك ضد الإبداعات و الاكتشافات البيولوجية

[1] François Dagonet,Le vivant,p.p.174.175

[2] Ibid,p.175.

و وهي معارضة الطبيعيين , والرومنتكيين و المتدينين الكاثوليكيين التي لا تنظر الى الاسرة إلاعلى هيئتها الكلاسيكية فهي تعارض أي محاولة تقنية في مجال الإخصاب الصناعي . كل هذا هو مظهر من مظاهر إرادة البقاء أوفياء للطبيعة الأسطورة . بالنسبة للفيلسوف **داغوني , لا الكائن الحي و لا الأسرة و الجسم بأمر طبيعي أي لا أحد منهم طبيعي** . فما دام ليست هناك طبيعة فإنه من الممكن إذن مواصلة تغيير الكائن الحي , مثلما نفعل دائما إن تغيير الكائن الحي هو شعار الفيلسوف **داغوني** .

و من المسائل الأكثر أهمية مسألة مسألة الإجهاض Avortement , أو عملية إيقاف الحمل إراديا . بتقدم التقنية في مجال الولادة و علم الأجنة . أصبحت بعض المسائل التي لم تكن مطروحة من قبل تفرض نفسها اليوم . مثلا : هل يمكن لنا أن نفرض على الوالدين الاحتفاظ بطفل متأخر عقليا أو معوق حركيا بمهنى طفل غير عادي ؟ هل نعتبره جزء من الأم و بالتالي عليها أن نحتفظ به ؟ , أم هل ينبغي التخلص منه ؟ ثم من يقرر ذلك , هل الأم لوحدها ؟ أم الاأم و الأب معا ؟ .و إذا تعلق الأمر بمراهقة , كيف يكون الحال ؟ نشير إلى أن رأي الأب في قضية الإجهاض غير مطلوب في القانون الفرنسي ــ إذن لماذا و متى نجعل الإجهاض شرعي ؟

في فرنسا يمكن توقيف الحمل قبل نهاية الأسبوع العاشر , لأن ابتداء من تلك الحظة , تكون حركات الجنين , ملحوظة و واضحة , فهي دليل على القدرة الذاتية للجنين . يعتبر الفيلسوف داغوني أن هذا العمل يؤدي إلى نتائج غير معقولة , كأن يطالب الوالدان تعويضات من الطبيب أو المؤسسة التي تكفلت بالمتابعة الطبية لحمل الأم , بحيث أن هذه الأخيرة لم تدرك النقص و الضعف الذي كان يتصف به الجنين (خلل في التكوين) . و هذا مظهر جدبد من حقوق الجنين في الولادة سليما.

و بالتالي الإنسان في طريق صناعة كائن جديد يستطيع تحديد صفاته في مقابل صناعة الكائنات الجديدة تبرز قضية معاكسة تتمثل في التدخل لإنهاء حياة قديمة إن صح التعبير , أو ما يطلق عليه بالموت الرحيم , فماهو و لماذا الموت الرحيم ؟ وما موقف فرانسوا داغوني منه ؟ هذا ما يتناوله المبحث القادم .

المبحث الثالث : قضية الموت الرحيم .

1_ المشاكل الأخلاقية التي تفرزها قضية الموت الرحيم .

من المسائل الهامة التي أصبحت تطرحها كذلك إنجازات البيولوجيا المعاصرة هي قضية الموت الرحيم و التي تعني " التدخل الطبي الذي يسعى إلى وضع حد لحياة شخص مصاب بمرض عضال أو دخل في حالة غيبوبة دائمة أو طاعن في السن , أصبح جسمه و عقله معا هدف لكل الأمراض و مسكنا لكل الأوجاع أو الطفل ولد أو سيولد بتشوه خلقي بالغ الخطورة أو بتخلف عقلي كبير و ذلك بهدف تجنيبهم المعاناة و الآلام المبرحة ."[1] و قد درجت في اللغات الأجنبية على تسمية هذا النوع من القتل "الأوثانازيا" Eethanasia و هي في اللغة الفرنسية مكونة من قطعتين : الأول EU و تعني الطبيب . و الثاني Thanasia من Thamatos و تعني الموت . و معناه هو : الموت بلا معاناة , أو الموت بقصد إنهاء معاناة المريض الذي يستحيل شفاؤه , أو قتل بدافع الرحمة أو المرحمة, أو القتل بدافع الشفقة أو االقتل الرحيم.[2]

"القتل الرحيم" تعبير يوناني الأصل ويعني الموت الجيد أو الموت اليسير أو الموت الكريم.

وهذا الأخير ليس جديداً، إذ أن الشعوب والقبائل البدائية كانت تمارسه، فكانت مثلاً تقتل الكسيح لأنه يعيق القبيلة في تنقلاتها أو تدفن أصحاب الامراض المعدية أحياءً لأسباب وقائية. و في المدن اليونانية القديمة''sapartans كانوا يقلتون اصحاب البنية البدنية الضعيفة و ذلك لكي لا تعيقهم في الحروب .

و منهم من يرى أن مصدر فكرة الموت الرحيم مأخوذة من الطب البيطري (فالحيوانات التي لا تنتج تُقتل). ويرى البعض الآخر أنها مأخوذة من معاقل النازية والعنصرية حيث ان الفكر النازي كان يعتمد ان الطفل الذي يولد يحمل تشوهات خلقية يتم التخلص منهم و ذلك من اجل ايجاد عرق صافي خالي من الامراض ، وتنسب فكرة الموت

[1] عمر بوفتاس , البيوإتيقا , مرجع سابق , ص.ص.163/162

[2] عمر بن عبد الله بن مشاري السعدون , القتل الرحيم , دراسة تأصيلية مقارنة , رسالة مقدمة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العدالة الجنائية .جامعة نايف العربية للعلوم الامنية , الرياض .2009 ص15

الرحيم في الطب الى الفيلسوف الانكليزي بيكون (Bacon) الذي يقول "أن على الأطباء أن يعملوا على إعادة الصحة للمرضى، وتخفيف آلامهم. ولكن إذا وجدوا أن شفاءهم لا أمل فيه، ترتَّب عليهم أن يهيئوا لهم موتاً هادئاً وسهلاً".

و في مقولة شهيرة لأفلاطون وجهها الي كبير القانونين اليونانيين "غلوكون" حيث قال له : «إن على كل مواطن في دولة متدينة، واجباً يجب أن يقوم به، لأنه لا يحق لأحد أن يقضي حياته بين الأمراض والأدوية. وعليك أن تضع قانونًا واجتهادًا، كما نفهمه نحن، مؤداه وجوب تقديم كل عناية للمواطنين الأصحاء جسمًا وعقلاً، أما الذين تنقصهم سلامة الأجسام فيجب أن يُتركوا للموت». وكذلك، دعا أنصار الفلسفة النازية أمثال نتشيه والقسس كاريل، الى القضاء على المرضى والضعفاء المصابين بعاهات جسدية أو عقلية، معتبرين أنهم جراثيم تعبث بالمجتمع.[1]

لأن المعطيات الطبية قد غيرت النظرة إلى محددات الموت , فلم يعد توقف القلب و التنفس دليلا كافيا على موت الإنسان و لكن أصبح الأمر الفاصل هو موت الدماغ , " و قد تمت بلورة هذا المفهوم الجديد بواسطة أعمال المدرسة الطبية الفرنسية بفضل ما قام به مولاري (Mollaret) و غولون (Goulon) سنة 1959 لما استعملا عبارة "مرحلة الغيبوبة المستمرة coma dépassé" للدلالة على حالة اللاعودة , و هكذا يمكن تعريف موت الدماغ بأنه (توقف كامل و لا رجعي لوظائف الدماغ بكل أجزائه)..و هناك سؤال يطرح بشأن مفهوم موت الدماغ , لماذا أصبح توقف وظائف الدماغ هو المعيار الحقيقي للموت و ليس توقف القلب كما كان يعتقد لمدة طويلة ؟ الجواب بكل بساطة هو أننا أصبحنا نعرف اليوم أن الدماغ هو الذي ينسق بين أنشطة كل أعضاء و أنشطة الجسم . الدماغ إذن و ليس القلب هو الذي يتحكم في الجسم حين يشتغل ككل".[2]

و نجد ان الحكومة الهولندية في عام 1999م قد اجازن و أقرت مشروع قانون يجيز القتل الرحيم و المساعدة على الانتحار حتى بالنسبة للاطفال ما فوق 12 سنة .

[1] http://www.addiyar.com/article/93357 القتل الرحيم بين الدين و القانون.

[2] المرجع السابق , ص167.

و رغم عدم وجود إحصائية سنوية في هولندا توضح عددالحالات التي تم قتلها بدافع الرحمة , فإن التقديرات تختلف من ألفي حالة سنويا في أقل تقدير إلى عشرة آلاف حالة سنويا في أكمل تقدير.

و في بريطانيا قالت البروفيسورة "هيزل بيغز" عميدة كلية القانون الطبي في جامعة كنيت أنه أحصي ما لا يقل عن 18 الف حالة وفاة تموت في سنة واحدة , على أيدي أطباء من يعالجونهم من أمراض مستعصية تحت مقولة "الموت الرحيم ".

و في بلجيكا تم تسجيا 203 حالة للقتل بدافع الرحمة خلال سنة واحدة , وقد زاد عدد الوافدين إلى سويسرا بحثا عن المساعدة , لإنهاء حياتهم من 3 أشخاص في عام 2000م إلى 55 في عام 2002م.

و تشير الإحصائيات في سويسرا أن هناك ما يقارب 18000 حالة يطلبون المساعدة لإنهاء حياتهم سنويا , و يرفض ما يقرب من ثلثيهم و ونصف الذين يقولون عادة ما يموتون لأسباب أخرى و البقية و يقدرون ب 300 شخص هؤلاء تتم مساعدتهم لإنهاء حياتهم . و في عام 2001 م قامت ممرضة سويسرية و تحت ذريعة الرحمة و الشفقة بقتل 27مسنا يقيمون في عدة دور للعجزة.[1]

و الأسئلة الأخلاقية التي تطرح في هذه المسألة , هي من يقرر نزع أجهزة الإنعاش التي تضمن عمل الوظائف الحيوية للمريض ؟ و هل يمكن للمريض نفسه أو لأحد أقاربه أن يقرر نزع هذه الأجهزة و ترك المريض يموت بسلام بحجة الآلام الكبيرة التي يعانيها و التي قد تكون بدون جدوى إذا ما استمرت حالة الغيبوبة لمدة طويلة ؟ بمعنى هل يمكن الإعتماد على حجة غرضها إنساني و هي دافع الشفقة و الرحمة للمساعدة على الموت ؟ و أين تكمن قدسية الحياة إذا ما تم إتخاذ قرارات لا يعارضها المجتمع و لا يعاقب عليها القانون تتعلق بتعجيل الموت لبعض المرضى اللذين دخلوا في حالة غيبوبة أو اللذين يعانون من ألام مبرحة ؟

في مقابل هذه الأسئلة نجد على أرض الواقع من الدول كهولندا من تقنن لممارسة الموت الرحيم و لكن بطلب من المريض الذي يشترط فيه أن يكون حاملا لمرض خطير و معانيا من آ لام شديدة و تستمد هذه الممارسة

[1] عمر بن عبد الله بن مشاري السعدون , القتل الرحيم , مرجع سابق , ص.ص.21.22.

شرعيتها أساسا من فكرتين تتعلق الأولى بحرية الفرد في التحكم في حياته و الثانية تتعلق بمبدأ الإقتناع بوجود ألام لا تحتمل و غير مجدية , مؤدية إلى الموت .[1]

في مقابل هذا يرى الكثير من المتخصصين في الأخلاق الطبية و الأطباء أن فكرة تعجيل الموت لنوع معين من المرضى بحجة إنسانية هي حجة واهية لأن الحياة أمر مقدس في ذاته و قيمة حياة الإنسان لا يمكن أن تقاس قياس كمي و بذلك فإنه لا يمكن لأي شخص أو لأي هيئة كانت أن تقرر تخليص مريض ما من آلامه الشديدة بتوقيف حياته و حتى و لو كان طلب إيقاف العلاج و استسلام للموت من المريض نفسه فإنه لا يمكن أن نصغي إليه لأنه غير موجود في حالة نفسية تمكنه من التفكير بطريقة سليمة خاصة إذا كان يعاني من آلام قاسية و انهيار نفسي شديد .[2]

و لم يقف الغرب عند اقتصار القتل الرحيم على أصحاب الأمراض العضوية الميئوس من شفائها بل ازداد الامر اتساعا و بعدا عندما أضيف إلى ذلك أنه من الممكن تطبيق القتل الرحيم على الذين يعانون من أمراض نفسية , كما طالب طبيب نفسي بريطاني في المجلة الطبية البريطانية بالسماح بالقتل بدافع الرحمة لمن يعاني من امراض نفسية مزمنة لا يمكن الشفاء منها , بل زاد الأمر , و اتسع حتى جاءت المطالبة بتطبيق القتل الرحيم على كل من يعاني من ظروف معيشية و حياتية صعبة , ككبار السن الذين يعانون من أمراض متعددة , و لا يستطيعون مساعدة أنفسهم في قضاء حاجاتهم , مما يكلف الأسرة عبئا و جهدا كبيرين , فلذا من حق الأسرة أن تطلب إنهاء حياته بما يسمى " الموت الرحيم".[3]

نفس الفكرة تدافع عنها الأكاديمية البابوية للحياة التي ترى ان الجانب المادي هو الذي يدفع في الكثير من الأحيان إلى تطبيق و تقنين مسألة الموت الرحيم خاصة أمام ثقل الفاتورة التي تتضاعف إذا ما تعلق الأمر بعلاجات

[1] Voir , académie pontificale ,pour la vie , le respect de la dignité de la personne mourante, considération éthique sur l'euthanasie,p.p01.02.

[2].voir Ibid,p04

[3] مرجع سابق , ص23.

تمتد لمدة طويلة , و الموت الرحيم بحسب الأكاديمية البابوية أمر غير أخلاقي و لا يمكن أن نطبقه بحجة أن الطلب كان من المريض نفسه لأن الحرية الشخصية بذلك تأخذ أكثر من معناها العقلاني و لا يمكن باسم الحرية الشخصية بذلك تأخذ أكثر من معناها العقلاني و لا يمكن باسم الحرية الشخصية و باسم حقوق الإنسان أن يتسبب شخص ما في إيقاف حياته , لأنه يمكن اللجوء إلى تقنيات أخرى للتعامل مع حالات هؤلاء المرضى و منها مساعدتهم بالمعلاجة النفسية الروحية و توفير أسباب الراحة لهم لأن الآلام تخف بالنسبة للمريض الذي يجد نفسه في جو مفعم بعاطفة الإيخاء و المحبة و التضامن , و يؤدي به ذلك إلى الرغبة في مواصلة العلاج , كذلك توفير بعض العلاجات المكيفة بحسب حالات المرضى كمسكنات معينة و أماكن هادئة تمكن المريض من الشفاء و من هنا يمكن أن نضع الفرق بين إعطاء الموت Donner la mort و السماح بالموت Permettre la mort من منطلق أن الأولى تقضي على الحياة و الثانية تقدس الحياة و تسهل المسار الطبيعي لها.[1]

و بهذا نجد أن العالم في مواجهة خطر جسيم لا يقيم للإنسان احترام بمجرد أنه أصابه مرض , أو أصبح غير قادر على العمل , فلهذا يرون أنه ما دام غير قادر على الإنتاج و العمل ثم إن علاجه يكلف أعله و دويه و مجتمعه تكاليف باهضة , فإنه من حق الاهل و المجتمع و الدولة التخلص من هذا الحمل الثقيل , و هذه نظرة قاصرة و مادية جشعة للإنسان و هي أنه لا بقاء إلا للأقوى و الأصلح . و الرأي الغالب هو تغليب النظرة الإنسانية التي تعطي الأولوية لفكرة المرافقة لهؤلاء المرضى على فكرة التسهيل المباشر لموتهم لأنه إذا كان الجانب المادي يضغط بنسبة معينة لتطبيق هذه التقنية فلنا أن نتساءل عن ملايير الدولارات التي تصرف سنويا في أبحاث هدفها الوحيد هو المنافسة العسكرية بين الدول ؟ و التي يمكن أن يؤخذ منها قسط بسيط لإنشاء مستشفيات خاصة بهؤلاء المرضى و عدم اللجوء بذلك مباشرة إلى فكرة قد تعيد عهد الأرستقراطية حتى في جانب الصحة و المداواة من خلال نزع أجهزة الإنعاش عن بعض و تركها للبعض الأخر.و لكن ما هو رأي فرانسوا داغوني في قضية الموت الرحيم ؟

[1] Voir,ibid,p04

2_ موقف "فرانسوا داغوني" من الموت الرحيم .

يرى الفيلسوف داغوني انه مادام البيولوجي يتدخل في الولادة بحيث يمنح الحق في الإجهاض فهو كذلك يتدخل في تقرير موتنا . هذا الموت الذي يعتبر حق كل واحد فينا . حتى في اختيار وقته . إن الطبيب احيانا يتظاهر لنا بالمظهر الإنساني . و يعرض علينا بعض الحجج التي تبرر فعله (الموت الرحيم للمريض) . كان يقول إلى متى نتحمل عبء الحياة ؟ . لماذا لا نكون سادة عليها ؟ متحكمين فيها . فمثلما أننا نمتلك المداخل مثل : تقنية منع الحمل . الإجهاض . التدخلات و المعالجة التقنية ...الخ .كذلك نتحكم في المخارج ,كالموت الرحيم.

في الحقيقة غن للمسألة بعدا قانونيا من يتخذ القرار ؟ هل المريض الذي يكون على فراش الموت و الذي لا يعرف وضعيته ؟ قد يطلب هذا الأخير الموت و لكن هي طريقة سهلة للتخلص من الألم و بسهولة , أو قد يطلب منا اخباره و هذا يزيد الأمر تعقيدا .و حتى العائلة لا يمكن الاخذ بقرارها بشكل كلي , فربما في نيتها التخلص منه.

و هل يمكن للأطباء اتخاذ القرار إذا اعتبرنا أن قرارهم ينبغي أن يظل سرا ؟ من يضمن عدم تسببهم في موت غير مبرر ؟ إذن لا أحد يستطيع اتخاذ القرار , لا المستفيد _ إن صح التعبير _ و لا الفريق الطبي و لا الأقارب .

إننا هنا نعرض مشكلة مزيفة , إنه يكفي ان نوقف العلاج الذي لا طائل منه في هذه الحالة لا نعطي الموت للمريض , بل نقرب ما لا مفر منه , أي نقرب الآجال.[1]

لما سئل الفيلسوف **داغوني** عن مسألة الموت الرحيم في حوار بمجلة Les grands entretiens du monde) tome2) كان جوابه كالتالي : " إذا أردت و اخترت الموت الهادئدون ألم , نتيجة أنني مصاب بمرض مزمن , فهذا لا يجعلني احمل الطبيب مسؤولية ذلك لأنه منحني هذا الموت , هذا الحكم ليس عادلا و غير مقبول , ما دمت أنا الذي طلبت الموت و اخترته . و لذا تجدني أختلف مع المواقف الراهنة , التي تقدمها فكرة

[1] François Dagognet,le vivant.p.p.183.184

البيوإتيك , سواء نظرتها للموت الرحيم أو علم الإخصاب الصناعي . لا أرى شيئ أفضل من أن نترك الحرية للفرد في القبول أو الرفض ."[1]

بالنسبة للفيلسوف **داغوني** يعتبر المدافعون عن الحرية الإنسانية , في الحقيقة هم أكثر الناس تعصبا و خطرا , لأنهم يسلبون الإنسان حرية الإختيار , كما يخشى تعصب هؤلاء المنتحلين للمذهب الإنساني , و الذين تحت غطاء الدفاع عن الإنسانية , يحرمون الناس و المواطنين من مختلف الحريات الجديدة التي تمنحنا إياها التقنية اليوم.[2] هذا الموقف يذكرنا بحقيقة واقعية تعيشها الإنسانية اليوم , و تشكل صورة من صور التناقض الصريح , فهي تعطي الموت لمن لا يرغب فيه (الإعدام), و ترفض الموت لمن يريده.

يبدو أن هذه الأفكار التي توصل إليها الفيلسوف مهمة لأنها تجيب هن كثير مما يشغل بال العالم البيولوجي على وجه الخصوص . فإذا كان مظهرها يتضمن المعارضة في أغلب الأحيان لهذه التقنيات , فإن مضمونها , يوحي بالتشجيع لها الكامل من طرف الفيلسوف . الذي لا يرى في التقنيات العلمية و الطبية على وجه الخصوص إلا مظهرا من مظاعر الإبداع و التحرر . إن التقنيات العلمية محررة أكثر منها مجردة للإنسانية مثلما يتصور البعض . و لذا يدعونا الفيلسوف داغوني إلى عدم إعتبار العالم الصناعي عالم شيطاني .و في الحقيقة أنه ليس عالم ملائكي من جهة اخرى.

تستند فلسفة داغوني إلى الاعتقاد بأن الإنسان سيد الحياة , و يمكن أن يكون هو الضحية بهذا الشكل يدعو إلى التوجيه العقلاني للتقنيات الطبية حتى ينقصمن درجة التشاؤم و المعارضة لها لها فإذا كان القليل من التقنية له تأثيرات سلبية فإن الكثير منها يسمح بمحاربتها .

و بهذا يرفض أن تكون البيوإتيقا عائقا في وجه التطور التقني الطبي و البيولوجي من خلال وضع تصور جديد واقعي لها , بعيد عن الإعتبارات الدينية أو العرقية كل هذا يجعل من من الفيلسوف داغوني , فيلسوف

[1] Rojer-pol droit(Propos recueillis), les grands entretiens du monde , tome2;p.23

[2] Ibid P.P.23.24.

أخلاقي لكن ليس بالمفهوم الكلاسيكي , و إنما أخلاق عملية مرتبة بالواقع و مسايرة لواقع التقدم العلمي بصورة كبيرة و هو ما يعطيها قيمة إضافية أو بعدا آخر في توجهها المستقبلي صوب إثارة السؤال الفلسفي الأخلاقي إزاء ما تفرزه حقائق علوم الحياة و الطب بشكل رئيسي .[1]

علم يتطور و يتقدم ارتباطا بالمجتمع فهو ليس ظاهرة منعزلة , تنمو بقدرتها الذاتية و تسير بقوة دفعها الخاصة و تخضع لمنطقها الداخلي البحت , بل أن تفاعل العلم مع المجتمع حقيقة لا ينكرهت أحد , و ما وصلت إليه البيولوجيا هو إنعكاس لما يريده المجتمع المعاصر و حتى أشد مؤرخي العلم ميلا إلى التفسير الفردي لتطور العلم , لا يستطيعون أن ينكروا وجود تأثير متبادل بين العلم و بين أوضاع المجتمع الذي يظهر فيه , حتى ليكاد يصح القول بأن كل مجتمع ينال من العلم بقدر ما يريد . و لا شك أن العرض الموجز الذي قدمناه من قبل للمراحل الرئيسية لتطور العلم (البيولوجيا و المسائل لأخلاقية المتعلقة بها) , و للنمو التدريجي لمعناه و مفهومه . يتضمن أدلة و شواهد متعددة على الارتباط الوثيق بين حالة العلم في أي عصر و بين أهم العناصر في الحياة الاجتماعية لذلك العصر , بحيث يكون العلم في أي عصر و بين أهم العناصر في الحياة الاجتماعية لذلك العصر , بحيث يكون العلم جزءا من كل , و يكون وجها واحدا لحياة متكاملة يحيها المجتمع .[2]

[1] مجموعة من الأكاديميين العرب , الفلسفة الغربية المعاصرة , إشراف علي عبود المحمداوي , الجزء الثاني ,ط منشورات ضفاف . منشورات الإختلاف , دار الأمان , الرباط .2013 .ص1435.

[2] فؤاد زكريا , التفكير العلمي , عالم المعرفة , الكويت , 1978 , ص163.

إن طبيعة الموضوعات و المشكلات الأخلاقية التي تطرحها البيولوجيا اليوم , تتطلب دراسة خاصة و متأنية , و ذلك لحساسية الموضوع المدروس و هو الإنسان , و من الواجب أن تسعى أخلاقيات البيولوجيا اليوم إلى إعادة قوة الطرح الفلسفي المتعلق بفلسفة الأخلاق , و هذا ما حاول فرانسوا تقديمه من خلال فلسفته التي تستدعي المساواة بين أهمية الدراسة البيولوجية و الدراسة الفلسفية للإنسان , لأن الإنسان ذو بعدين روحي و مادي و إقصاء أي بعد من البعدين هو إقصاء لحقيقة الإنسان نفسها و هذا جوهر موقف فرانسوا داغوني البيوإتيقي في القضايا البيولوجية الحساسة التي قد تنهي حتى حياة الكائن الحي .

خاتمة

خاتمة :

و ختاما فإن التحليلات الإبستمولوجية المتعلقة باالبيوإتيقا عند فرانسوا داغوني تفيد بأن البيولوجيا اليوم تحتاج إلى تدخل كل الإبستمولوجيين و الفلاسفة و إلى تبصر عميق من العلماء البيولوجيين.

لقد بلغ علم الحياة منعرجا خطيرا , استدعى الإهتمام و التبصر ليس فقط من المتخصصين و لكم من كل مثقفي العالم , و ذلك بسبب الالتقاء الذي حصل بين الاكتشافات الكثيرة و المتوالية في البيولوجيا , و بين طغيان النظرة المادية المتعلقة بالجانب الاقتصادي و التجاري التي تظهر مثلا في بيع و تصنيع الأدوية و الاتجار بالأجنة و عمليات الإجهاض الانتقائي و العديد من العمليات الأخرى.

و هذا كله استدعى إبستمولوجيا معاصرة تهتم بجانب المسائل الأخلاقية التي تطرحها قضايا طبية و هذا ما اصلح عليه بالبيوإيتيقا , و هو كان جوهر تفكير الفيلسوف داغوني , رائد من رواد هذا الميدان الخصب , و من الفلاسفة الذين يمكن الاستعانة بهم في فهم قضايا العالم المعاصر بمظاهره الجديدة , و مفاهيمه المركبة , وفلسفته تعبير عن وظيفة الفلسفة اليوم . يقول عنه الفيلسوف و المؤرخ "جورج كانغيلهم : " إن أعمال داغوني تمثل مساهمة فعالة في إعادة تشكيل ما هو آت . نحن بحاجة إلى التعلم منه كيف أصبح لغز الباطن واضح , ليس بواسطة إخراجه , بل بواسطة إزالة طيات الظاهر أو السطح ".

إن فلسفة داغوني المرتبطة بالواقع , توسعت شيئا فشيئا حتى شملت المسائل المتعلقة بالبيولوجيا و الطب , كما عمل على تحليل العالم المعاصر بكل أبعاده و إفرازاته خاصة منها التقنيات العلمية و إجرائاته الإدارية و القانونية و كذا إبداعاته الفنية , و لذا كان من الصعب تصنيف الفيلسوف بشكل واضح , فهو مثلما عبر عنه البعض يفلت من التصنيف بالرغم من أنه فيلسوف التصنيف .

تقوم فلسفة داغوني على رفض النظرة النائية كالقول بالجوهر و العرض , والظاهر و الباطن , والمادةو الصورة , ففي نظره لا يدرك الشيئ إلا في كليته و وحدته , و لذا ينتقد البيولوجيا و الفيزيولوجيا لأنها عملت منذ ظهورها و

تطورها على تفكيك الكائن الحي _الإنسان على وجه الخصوص_ قصد فهمه أكثر , و هو أمر لم تستطيع بلوغه , ثم أن القول بالثنائية يبعد الفيلسوف عن الحقيقة , لأن العمق ليس محل اتفاق فهو وهم يتصف بالغموض يتوقف على خيال الفيلسوف و لا يمثل الواقع , و لذا كان السطح أو الظاهر , أهم شيئ بالنسبة ل داغوني , على الفلسفة أن تهتم بالواقع و الابتعاد عن الميتافيزقيا بالمفهوم الكلاسيكي أي تلك الممزوجة بالخيال و العاطفة و هو بهذا يدعو إلى ميتافيزيقيا جديدة.

من جهة أخرى تشترك هذه الفلسفات القديمة كلها في فكرة رئيسية , و هي **احترام و إجلال الطبيعة** . و هو أمر يعترض عليه الفيلسوف بشدة لأنه لا يرى في الطبيعة إلا كائنا ناقصا , همجيا , قاسيا تسوده الفوضى ,الطبيعة تحتاج إلى من يوجهها هذا التصور للطبيعة يبرر به داغوني مشروعية تدخل الإنسان بكل ما أوتي من قوة و علم و تقنية لتوجيه و إعادة تشكيل الطبيعة و التي من خلالها تبرز قيمته و قدراته الإبداعية . بالنسبة للفيلسوف فإن إخضاع و تطويع الإنسان للطبيعة هو أسوأ استلاب و أقبح عبودية.

هذه الفكرة سوف يجعل منها مبدأ لفكرة أعم و هي الأساس في فلسفته , وتتمثل في اعتبار الإنسان سيد الحياة ما دامت الحياة هي المخبر الأول للطبيعة La vie , est le premier laboratoire de la nature .

تعتبر التطورات التي شهدتها علوم الحياة و العلوم الطبية , هي في نظر داغوني سببا في إحياء الفلسفة , بحيث أصبح لها دور فعال في المجتمع ,مثلها مثل بقية العلوم أي أصبحت قادرة على وضع نظريات أخلاقية ذات طابع تطبيقي (أخلاق عملية) , و كل هذا يدخل ضمن النظرة الجديدة إلى العلاقة بين العلم و الفلسفة .

و ما دام الطب في نظر داغوني هو أقرب العلوم إلى الفلسفة , فإن منه يمكن للفيلسوف أن يلج إلى مشكلات أنطلوجية ,كالمرض و المعاناة المرضية المعيشية و إلى مشكلات أخلاقية تتعلق بالممارسة الطبية , قواعدها و حدودها (البيوإتيقا) . ثمإلى مشكلات اجتماعية ترتبط بالممارسة البيروقراطية للمؤسسات الطبية , انتهى هذا التصور بالفيلسوف إلى تصنيف الطب ضمن العلوم الإنسانية , من كل هذا استطاع داغوني أن يثبت أن يثبت أن

للطب ابستمولوجيا خاصة به متميزة عن تلك المتعلقة بالبيولوجيا . إنها صورة جديدة للعلاقة بين الفلسفة و العلوم خاصة منها الطبو البيولوجيا.

إن ارتباط الفلسفة بالطب و البيولوجيا يمكن رده بشكل عام , إلى الاهتمام المشترك بموضوع الحياة و الكائن الحي عموما , وهذا الأخير في نظر داغوني ينبغي أن يكون من اهتمامات الفيلسوف . فهو يشكل وحدة كلية مستقلة غير قابلة للقسمة , إلى جانب ذلك فهو مادي (هيولى) هو كائن في أخر المطاف قادر على إعادة خلق كائن حي أو الحياة , و ذلك بتوظيف مختلف التقنيات العلمية البيولوجية و الطبية , فهو يركب المواد و يضيف أخرى لم تكن موجودة من قبل . إن التقنية تمكن الإنسان تصحيح الاخطاء التي ترتكبها الطبيعة من تشويه و نقص , كما تمكنه من التدخل في الحياة و توجيهها .

تستند فلسفة داغوني إلى الاعتقاد بأن الإنسان سيد الحياة , و يمكن أن يكون هو الضحية , بهذا الشكل يدعو , إلى التوجيه العقلاني للتقنيات الطبية و للتطور الهائل الذي يحدث في نتائج البيولوجيا عموما و الطب خصوصا. و موقفه هذا حتى ينقص من درجة االتشاؤم و المعارضة لها , فإذا كان القليل من التقنية له تأثيرات سلبية فإن الكثير منها يسمح بمحاربتها .

و بهذا يرفض أن تكون البيوإطيقا عائقا في وجه التطور التقني الطبي و البيولوجي , من خلال وضع تصور جديد واقعي لها , بعيد عن الاعتبارت الدينية و العرقية , كل هذا يجعل من الفيلسوف داغوني , فيلسوف أخلاقي لكن ليس بالمفهوم الكلاسيكي , و إنما أخلاق عملية مرتبة بالواقع و المسايرة لواقع التقدم العلمي بصورة كبيرة و هو ما يعطيها قيمة إضافية أو بعدا آخر في توجيههما المستقبلي صوب إثارة السؤال الفلسفي الأخلاقي إزاء ما تفرزه من حقاصق علوم الحياة و الطب بشكل رئيسي.

إن ربط الفلسفة بالعلوم أضحى من الأمور التي ينبغي السعي إلى تحقيقها خاصة في وقتنا الحالي , لأن التطور السريع , الذي تشهده العلوم اليوم بحاجة إلى ضابط , و على الفلسفة أن تعنى بهذا الدور , يقول "داغوني " إننا نعتقد بالفعل , أن في استطاعة الفيلسوف بل ينبغي عليه أن يأخذ هذا الدور . حتى يمزق هذه الذرائع , و يعيد

النظر في نتائج هذه التطبيقات " , و عليه فإن التفكير في دمج هذه المباحث الجديدة في برامج التعليم خاصة العالي منه , أصبح من الضروري بما كان ,و هذا ينطبق على معاهد الطب و البيولوجيا لما لها من أهمية في حياة الفرد و الجماعة .

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر و المراجع :

-القرآن الكريم.

المصادر:

1_D.François .Anatomie d'un Epitémologue .librairie philosophique.J.Vrin.Paris.1984.

2_ D.François , Nature , Librairie philosophique , j.Vrin , paris ;1990

3_ D.François,Le vivant,Edition Bordas,paris,1988

4_ D.François, Rematérialiser :Matiéres et Matérialismes ,Librairie philosophique J . vrin

5_ D.François, penser le vivant , l'homme maitre de la vie .bordas , paris .2003

6_ D.François. faces . surfaces -.interfaces.librairie philosophique .j vrin .1982.

7_ D.François.L'homme maitre de la vie , Edition Bordas,paris .2003.

8_Sous la Direction de Robert Damien. F.Dagognet, Médecin Epistémologue Philosophe .INSTITUT Synthélabo.1998.

المراجع باللغة العربية :

1_ابراهيم مدكور , في الفلسفة الإسلامية , ج2 , مكتبة الدراسات الفلسفية . ط2 , 1968.

2_ ابراهيم مدكور . المعجم الفلسفي . طرق الالف . الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية . القاهرة . مصر . 1983.

3_ابن ابي اصبيعة , عيون الأنياء في طبقات الأطباء , منشورات دار مكتبة الحياة , بيروت . لبنان.1965.

4_ابن سينا , القانون في الطب . .to pdf : www. Al_mostafa.com .

5_ابن قيم الجوزية . الطب النبوي , ج1 , دار الكتب , الجزائر . 1988م.

6_أبو حامد الغزالي , احياء علوم الدين , ج1 , دار المعارف , بيروت , لبنان , 1983 م.

7_ارنست ماير . هذا هو علم البيولوجيا .ت عفيفي محمود عفيفي . عالم المعرفة . الكويت . 2002 .

8_إريك فروم , الإنسان بين الجوهر و المظهر , تر , سعد زهران , سلسلة عالم المعرفة , المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأداب ’الكويت, العدد140 , اوت 1989م.

9_الاستنساخ , ابحاث ندوة المجلس الإسلامي الأعلى , الجمهورية التونسية , الوزارة الاولى , جوان 1997.شركة فنون الرسم و النشر و الصحافة ’ القصبة , تونس , ط1 . .1998

10_اميل برييه , اتجهات الفلسفة المعاصرة ,تر: محمود قاسم . دار الكشاف للنشر و الطباعة و التوزيع , جامعة الاسكندرية.

11_باروخ برودي , قراءات في فلسفة العلوم ,تر : نجيب الحصادي ,الطبعة 1 , دار النهضة العربية،,بيروت , 1997م.

12_برتراند راسل , أثر العلم في المجتمع ,تر: صباح صديق الملوجي ,الطبعة 1 , المنظمة العربية للترجمة , بيروت . 2008.

13_برتراند راسل . حكمة الغرب . ج1 . تر فؤاد زكريا . سلسة عالم المعرفة . المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب . الكويت . العدد62 . فبراير1983.

14_جان شارل سورنيا , تاريخ الطب , تر ابراهيم البجلاتي , عالم المعرفة الكويت , 2002 .

18_جميل صليبا , تاريخ الفلسفة العربية , الشركة العالية للكتاب , 1989 .

19_جورج سارتون , تاريخ العلم , الكتاب الاول ' تر مجموعة علماء من الدكاترة إبراهيم بيومي مدكور , قسطنطين زريق , محمد كامل حسين , محمد مصطفى زيادة , ط2 , دار المعارف , القاهرة 1963.

20_جورج كانغيلام . دراسات في تاريخ العلوم و فلسفتها . تر محمد بن ساسي . مركز دراسات الوحدة العربية . ط1 . بيروت . لبنان . 2007 .

21_جيمس ب . كونانت .مواقف حاسمة في تاريخ العلم . تر : أحمد زكي .دار المعارف . مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر , القاهرة , نيويورك , 1963.

22_حسين فرج زين الدين / رمسيس لطفي . دراسات في علم الحيوان و رواد التاريخ الطبيعي . دار الفكر العربي . د .ت.

23_دراسة بإشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الامم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة (يونسكو) , أثر العرب و المسلمين في النهضة الاوروبية , الهيئة المصرية للتأليف و النشر , 1980

24_دومينيك لوكور , فيما تفيد الفلسفة إذن ؟ , تر محمد هشام , إفريقيا الشرق , الدارالبيضاء , المغرب , د .ط , 2001 .

25_ديفيد ب. رزنيك ,أخلاقيات العلم , تر : عبد النور عبد المنعم ,عالم المعرفة ,المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأداب , الكويت , .2005

26_رحاب عكاوي , موسوعة عباقرة الإسلام , ج2 , دار الفكر العربي , بيروت , لبنان , ط1 , 1993 .

رنيه ديكارت . مقالة عن المنهج , تر : محمود محمد الخضيري , الطبعة 3 , مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب , مصر , 1985م.

27_روبير بلانشي . نظرية العلم . الابستمولوجيا . تر . د محمود يعقوبي . ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون . الجزائر .

28_ريتشارد ليونتين , حلم الجينوم و اوهام اخرى . تر احمد مستجير , فاطمة نصر , المنظمة العربية للترجمة , بيروت , لبنان , ط1 . 2003 .

29_سعيد الدجاني , أداب الطبابة و حقوق الإنسان , المؤسسة العربية , بيروت , لبنان , ط1 . 1979.

30_سعيد محمد الحفار, البيولوجيا و مصير الإنسان , عالم المعرفة ,الكويت ,نوفمبر 1984.

31_شارل داروين . اصل الانواع . تر اسماعيل مظهر . ج1 . المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية . الجزائر . 1991م.

32_عبد القادر بشته .الابستمولوجيا مثال الفزياء النيوتونية . دار الطليعة . بيروت . ط1 .1995م.

33_عبد القديم زلوم , حكم في الاستنساخ . نقل الاعضاء , الاجهاض , اطفال الانابيب , اجهزة الانتعاش الطبية الحياة و الموت , ط1 , 1997.

34_عمر بوفتاس . البيواتيقا _الاخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنلوجيا . افريقيا الشرق . المغرب .2011.

35_عمر بوفتاس . البيوتيقا .إفريقيا الشرق , الدار البيضاء , المغرب , د.ط. .2011

36_غاستون باشلار, تكوين العقل العلمي, تر : خليل أحمد خليل , الطبعة 1 , المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع , 1981م.

37_فرانسيس فوكوياما , نهاية الإنسان , أحمد مستجير ,الكبعة1 , طبعة سطور , مصر,.2002

38_فؤاد زكريا , التفكير العلمي , عالم المعرفة , الكويت ,1978.

39_م. بوشنكي . الفلسفة المعاصرة في اوروبا . تر عزت قرني . سلسلة عالم المعرفة . المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب . الكويت . العدد165 . سبتمبر 1992 م .

40_مجموعة من الأكاديميين العرب , الفلسفة الغربية المعاصرة , إشراف علي عبود المحمداوي , الجزء الثاني ,ط منشورات ضفاف . منشورات الإختلاف , دار الأمان , الرباط .2013 .

41_محمد عابد الجابري . مدخل الى فلسفة العلوم . مركز الدراسات الوحدة العربية . ك5 . بيروت . .2002

42_مسلم بن الحجاج القشيري , الجامع الصحيح , المكتبة العصرية , صيدا , بيروت , لبنان . ط1 .2004.

43_ناهد البقصمي . الهندسة الوراثية و الاخلاق. سلسة عالم المعرفة . المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب .الكويت . العدد 147 . جويلية 1993.

45_اليكس روزنبرج, فلسفة العلم مقدمة معاصرة ,تر احمد عبد الله السماحي , ف الله الشيخ ط1 . المركز القومي للترجمة , القاهرة 2011.

46_يمنى طريف الخولي , فلسفة العلم في القرن العشرين , سلسلة عالم المعرفة , المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب . الكويت , العدد264 . ديسمبر2000.

47_يوسف كرم '. تاريخ الفلسفة اليونانية , دار القلم , بيروت , لبنان .

أ/الكتب باللغة الفرنسية :

1_ahmed djebbar . une histoir de la science arabe . edit seuil .2001.

2_Claude bernard . introduction a lètude de la medcine expérimentale.

3_Claude lafon . la bioligie autrment (100 questions de synthese). .

ellipses . larouni . France. 2003 .

4_Lucien sève . pour une critique de la raison bioéthique . in . les Mohamed aziz lahbabi , pour la personne : réflexion sur la fécondatiion artificielle.

5_Pierre aubenque , phisis, encyclopédie universalis question dargent . édition odile jacob . 1994.

6_Rojer-poldroit,(propos recueillis), les grands entretiens du monde ;pensze la philosophie:Numéro spécialle. dossiers et documents du monde,tome2,1994.

ب/المعاجم و الموسوعات :

1_ابراهيم مدكور . المعجم الفلسفي . طرق الالف . الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية . القاهرة . مصر . 1983.

2_أندريه لالاند , موسوعة لالاند الفلسفية , تعريب , خليل أحمد خليل , ج1 , منشورات عويدات , بيروت لبنان , ط2 , 2001م.

3_بيتر كونزمان و أخرون , اطلس الفلسفة , dtv , تر : جورج كتورة الطبعة 2 , .,المكتبة الشرقية , بيروت , لبنان . 2007.

4_تد هوندرتش ,دليل أكسفورد للفلسفة , تر نجيب الحصادي ,الجزء2 , المكتب الوطني للبحث و التحرير , ليبيا.

5_جميل صليبا ', المعجم الفلسفي, الجزء الأول , دار الكتاب اللبناني ,بيروت , لبنان ,1982م.

6_جميل صليبا, المعجم الفلسفي ,ج .2 , دار الكتاب اللبناني ,بيروت ,لبنان ,1978.

7_سمير عازار . الموسوعة العلمية الشاملة , نوبيليس , المجاد 7 , المركز سنتر نوبيليس ,1981م.

..2004/2003

8_الموسوعة العربية العالمية . الامين العام للمؤسسة . فيصل بن سلطان نايف عبد العزيز ال سعود . مؤسسة اعمال الموسوعة للنشر و التوزيع . الرياض السعودية . ط02 . 1999.

ب/القواميس باللغة الفرنسية :

1_ dictionnaire dethique et de philosophie , sous la direction de monique canto _ spenber ,puf ,1ere édit.

2- Philippe Auzo . Dictionnaire Encyclopedique AUZOU . epingle. edit philippe auzou . paris .2008

ج/المذكرات و الملتقيات :

1_الاستنساخ , ابحاث ندوة المجلس الإسلامي الأعلى , الجمهورية التونسية , الوزارة الاولى , جوان 1997.شركة فنون الرسم و النشر و الصحافة ' القصبة , تونس , ط1 . .1998

2_دراسة بإشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الامم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة (يونسكو) , أثر العرب و المسلمين في النهضة الاوروبية , الهيئة المصرية للتأليف و النشر , 1980

3_عبد الكاظم العبودي , أخلاقيات البحث العلمي أطروحة لنيل درجة الدكتوراة في الفلسفة , قسم الفلسفة , جامعة وهران , السنة الجامعية 2009_2010.

4_علي البار ,(القضايا الأخلاقية الناتجة عن الإنجاب) , ملتقى القضايا الخلقية الناجمة عن التحكم في تقنيات الإنجاب , مطبوعات أكاديمية المملكة الغربية , الدورة 01 ' أغادير , نوفمبر1986 ,

5_عمر بن عبد الله بن مشاري السعدون , القتل الرحيم , دراسة تأصيلية مقارنة , رسالة مقدمة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العدالة الجنائية .جامعة نايف العربية للعلوم الامنية , الرياض .2009.

6_فواز صالح ,مبدأ احترام الكرامة الإنسانية في مجال الأخلاقيات الحيوية , دراسة قانونية مقارنة , مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية و القانونية , المجلد27 , العدد الأول .جامعة دمشق , 2011.

7_ملتقى القضايا الخلقية الناجمة عن التحكم في التقنيات الإنجاب , الدورة 01 ,أكادير , نوفمبر, مطبوعة أكاديمية المملكة العربية , 1986.

1ج/ مذكرات باللغة الفرنسية :

1_ Garcia Victor,Mailland Quentin, robert antoine, Thiery Florian,le clonage thérapeutique,master sciances de l'environement,du territoire et de l'économie, sous la direction de François Régis mahieu,année universitaire 2009_2010.

د/الأنترنت :

1_http://www.addiyar.com/article/93357 القتل الرحيم بين الدين و القانون.

2_ سلمان قطاية . فلسفة الطب عند العرب و اليونان .

htpp//www.isesco.org.ma/pub/arabic

3_ جورج عفاكي , أبقراط بين الاسطورة و التاريخ .

.http://www.alepdent.net/hippocrates.htm

د/الأنترنت باللغة الفرنسية :

1_www.mariane.net/philippepetet/disparation-françois - dagognet-100237150.html

2_ Philosophie magazine.www.philomag.com/lactu/breves/françois-dagognet_mort d un matiriologue_12472.par cedric enjalbert.

https: // fr . wikipedia .org ./ wiki / françois _ dagognet 2017_01_25_ /.19/45

3_ Le monde .fr. mort du philosophe françois dagognet.par Roger –pol droit /04/10/2015.

4_www.mariane.net/philippepetet/disparation-françois - dagognet-100237150.html.

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة

الفصل الاول: من البيولوجيا إلى البيوإتيقا

تمهيد 6

المبحث الأول : البيولوجيا المعنى و التطور 7

1_ مفهوم البيولجيا 7

2_ تطور البيولوجيا 11

المبحث الثاني: البيوإتيقا 20

1_تقدم اخلاق الطب 20

2_ البيوإتيقا المعاصرة 29

خاتمة 35

الفصل الثاني : بين الفلسفة و البيوإتيقا عند "فرانسوا داغوني"

تمهيد 37

المبحث الأول: من هو "فرانسوا داغوني" و ماهي فلسفته 38

1_ من هو "فرانسوا داغوني" 38

2_ التقسيم التاريخي و وظيفة الفكر الفلسفي عند داغوني 42

المبحث الثاني: إبستيمولوجيا الطب عند دغوني 49

1_ مفهوم الإبستيمولوجيا 49

2_ موقف داغوني من الفيزيولجيا 54

المبحث الثالث: البيوإتيقا عند فرانسوا داغوني 59

1_ الطبيعة و العالم الحي عند فرانسوا دغوني 59

2_ في ضرورة البيوإتيقا عند فرانسوا دغوني 65

خاتمة 69

الفصل الثالث: القضايا الأخلاقية التي اثارتها البيوإتيقا في نظر داغوني

تمهيد 71

المحبث الأول: الإستنساخ و تقنيات زرع الأعضاء 72

1_ ماهو الإستنساخ 72

2_ موقف داغوني من الإستنساخ..... 79

المبحث الثاني: موقف فرانسوا داغوني من قضية الإجهاض و تقنيات الحمل 83

1_ المشاكل الأخلاقية التي تطرحوها قضايا الحمل المساعدة و الإجهاض 83

2_ موقف داغوني من تقنيات الحمل و الإجهاض..... 89

المبحث الثالث: قضية موت الرحيم..... 93

1_ المشاكل الأخلاقية التي تفرزها قضية الموت الرحيم..... 93

2_ موقف داغوني من الموت الرحيم..... 98

خاتمة..... 101

خاتمة الدراسة..... 103

قائمة المصادر و لمراجع.....108

فهرس المحتويات 118